



عبد الحميد طه

عبد الحميد طه

كشكس الموسيقى

مطبعة خان بكنية مله

كشك الموسيقى

تأليف

عبد الحميد جوره السحله

الناشر:

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي "النجارة"

دار مصر للطباعة

سميد جودة السحار وشرارة

صفحة

كان الرجل ينظر الى المروج الخضراء من نافذة قطار الشرق وهم
شارت ، كان غارقا في تفكير عميق . انه منذ يومين وهو منطلق
الى الغرب لا يشغل رأسه الا موضوع واحد . . موضوع الأسلحة
التي سيعرضها على وزير الحربية في الامبراطورية التي يقصدها .
انه يتمتع الزمان فالحظ ان يقطع المسافة بين مقر شركته والبلد الذي
يقصده في ثلاثة ايام ، فما كان الطير ان قد عرفت بعد .

انه لم ير الوزير بعد ، ولكن شركته قدمت اليه صورته وبعض
معلومات طفيفة لا تخدم من يقدم على صفقة كبيرة قد ترفع شركته
الى مصاف الشركات الكبرى ، بل وتجعلها اكبر شركة تعمل في
توريد أسلحة الدمار .

ان الشركة نجحت في ان تحصل على سر خطير . . سر تاهب
الامبراطورية للهجوم على الدول المحيطة بها ، وقد نجحت في ان
تتصل بوزير الحربية وان تحدد ميعادا لاستقبال مندوبيها للتفاوض
على اتمام صفقة كبيرة تحقق اهداف الامبراطورية واهداف الشركة
واهداف الجميع .

ومضت على سطح ذهنه احداث ذلك الاجتماع السري الذي

وبرك القصة على المكتب ونهض مستأذنا وانصرف ، وما أن عاد الى غرفته بالفندق حتى تملكه خوف شديد . . انه تسرع بتقديم القصة . . ترى ماذا يكون مآله اذا رفض صاحب السعادة الرشوة وثار لكرامته واصدر أمرا بالقبض عليه ؟ سيتلقى به في السجن وسيحاطم بتهمة رشوة موظف عمومي ، موظف عمومي ؟ ! انها رشوة وزير وأي وزير ؟ وزير الحربية ؟ !

وتضخمت مخاوفة فالفي نفسه يسير بين جنديين ومن خلفه جندي مدججين بالسلاح . انه رأى هؤلاء الجنود الغلاظ في ممرات الوزارة وهو في طريقه الى مكتب صاحب السعادة . وتقرز خياله الى بيته . . انه ترك ابنته وخطيبها على أمل أن يكون الزفاف بعد عودته . ترى أيفسخ الشاب خطبته من ابنته اذا ما بلغه انه قد قبض عليه وسجن ؟ انه سيفسخها من غير شك ليدراً عن نفسه فضيحة زلوجة من ابنة سجين . ولكن الشاب يحبها . . يحبها حقاً ، انه لن يفسخ خطبته . . لا . . بل سيفسخها فالحب وحده لا يقيم أسرة ، والسنة الناس قاذرة على تقويض أى بيت يهب عليه أعصار الريبة . الريبة ؟ انها ليست ريبة . . انه اليقين .

وزوجتى ؟ يا للمسكينة ! كيف ستعيش بين الناس بعد الفضيحة ؟ سينبذها المجتمع . . سيفر منها الناس لأنها زوجة سجين . أنا وحذى الذى أخطأت . الناس كلهم خطاؤون . ذنبى ان خطئى كشف عنه الغطاء . . أما أخطاؤهم فلا تزال مستورة ، والويل لمن يفتضح أمره بين الخطائين .

وارتمى على السرير وهو يصيح فى حلق :

— قساة . . قساة . . غلاظ القلوب .

ومدد ملابسه على الفراش وحاول أن يطرد عن رأسه تلك

أفكار السخود ، ولكن الخواطر راحت تتوافد على ذهنه نوافد الموج . انه راح يذكر فى شركته بعد أن افترض امره . . ان مجلس الادارة الذى اجتمع قبل سمره وفوضه فى فعل كل شيء وأى شيء ليحصل على الصفقة قد اجتمع وقرر فصله وارسل كتابا الى سمادة الوزير يعتذر فيه عما ارتكب مندوبيها من حماقة وتهور ، ويبدى شديد أسفه على الفعلة الشنعاء التى نال مرتكبها بما يستحقه من عقاب .

وهب من رقدته مذعورا وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهوبا وهو يترقب ، يلتفت بين لحظة وأخرى ناحية الباب . انهم سيقدّمون ليلقوا القبض عليه . ماذا ينتظر ؟ لماذا لا يحمل حقيبته ويهرب . ولكن ابن المر ؟ وهو الآن ولا ريب تحت الحراسة .
وفح فى جوفه فحيح سرى فيه مسرى السم : متهور . . مندفع .

انها همسات مرعوسه الحائد الذى يطمع فى مركزه . . انها وخزائنه التى يخزها فى خبث ودناءة ، فيها لفرحته يوم يأتى نبأ القبر . عليه . . سيقول فى زهو وشماتة : ألم اقل لكم ؟ ألم اخذكم ؟ كنت أكثر منكم غراسة . لو اطعمتمونى لدراهم عن الشركة الفضيحة القائلة . اننى أرجح منه عقلا وأكثر منه حنكة ، فلو كنتم ارسلتمونى لاتمام تلك الصفقة ، لما انهارت أسهم الشركة ولما اشرفت على الافلاس .

ان مرعوسه يتمنى أن يزاح من طريقه . . انه يذكر تلك الأيام القاسية التى دهمه فيها المرض . كان مرعوسه يأتى كل يوم ليطمئن الى أنه لن يشفى من مرضه ولن يعود الى عمله . . من حق كل انسان أن يتمنى لنفسه ما يشاء من الأمانى ولكن ليس على جثث الآخرين ونكباتهم .

وحاست منه التفاتة الى صورته فى مرآة الغرفة ، فراع ذلك الشحوب الذى اعتراه . انه يكاد أن ينقض من الاعياء . . الغرفة تدور به . . انه يستشعر اختناقا . . ليت الباب يفتح ويلقون القبض عليه ليستريح من قسوة الترقب والانتظار . ولم يستطع أن يظل منتصباً على قدميه فارتقى على الفراش يشهق فى قوة ، ويزغر ألّهواء وهو يرجو لو أن متاعبه تخرج مع زفيره .

مولج الليل فى النهار فساد الغرفة ظلام . ، فهب مغزوعاً بضئ الأنوار لا أيفر من الظلمات بل ليهرب من نفسه . وعاد الى الفراش وصوب عينيه الى السقف ولم يكن يرى شيئاً ، فالأحداث التى كانت فى خاطره كانت أوضح من كل ما يراه .

ودقت ساعة الفندق معلنة انتصاف الليل وهو يتقلب كأنما يتقلب على جبر لم يغمض له عين ، وراح الوقت يمر بطينا ثقيلا . وبعد مدة كأنها دهر دقت الساعة الواحدة فأسدل جفنيه على مقلتيه لعل النوم يطوف به ولكن هيهات .

ان الصور تتداخل فى رأسه . . صورة ابنته وخطيبها . ثم صورته وهو يسير بين جنديين شديدين وخلفه جندي ثالث وهم شاهرو أسلحتهم ، ثم صورة مجلس الإدارة ، وصورة زوجته . ثم صورته مع عروسه الحائد وهو ينفث سنبومه فى كل مكان .

ودقت الساعة معلنة الثانية صباحاً فقام يظل من النافذة لعل الهواء البارد يطرد ما فى رأسه من أشباح ، أو لعله يتجمد من البرد ليستريح . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث فعاد وارتمى يائساً فى الفراش

ونال منه الاعياء فراح الوسن يداعب جفنيه ، وسمع الساعة

تدق الثالثة فى صوت خافت كأنها يأتى من أعماق سحيقة وما لبث
أن راح فى سبات .

وهب بن نومه مذمورا على صوت طرقات على الباب ، وفى
مثل لح انبصر تذكر كل شيء .. انهم يأتون ليقبضوا عليه . وسار
الى الباب يترنح فلما فتحة وجد جنديا يقول فى لهجة أمرة :
— صاحب السعادة الوزير يطلبك الساعة .

وأخذ يجمع شتات نفسه ويقوى عزيمته . أنه قد انتهى فليس
من الحكمة أن يبدو جبانا . وارتدى ثيابه وجعل يباليغ فى تأنقه ،
ثم سار وفتح الباب وانطلق ثابت الخطو يحاول أن يبدو هادئا وإن
كانت روحه تكاد أن تغرب بين جنبيه ربما .

وقاده الجندي الى مكتب صاحب السعادة . فما أن ولج الباب
حتى ألقى الوزير متطلق الوجه وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وهو
يتقدم ليقابله فى منتصف الغرفة وقد مد له يده ليصافحه فى ود
وترحيب .

أين مقابلة اليوم من مقابلة الأمس ؟ وفى لحظة مات كل خوف
واشرقت النفس بالأمل .

وجلس الرجل فى مقعد وثير وجلس صاحب السعادة أمامه
وهو يرحب به ترحيبا حارا ثم قال :
— كانت القصة ممتعة .. أنها من أروع القصص التى قرأتها
فى حياتى .

ومال الرجل فى غرح :

— كنت على ثقة من أنها ستروق سعادتك .

وتلمل صاحب السعادة فى كرسيه وقال :

— ولكن للأسف ..

مقال الرجل فى خوف :

— ماذا يا صاحب السعادة ؟

— ثم تكتمل متعتى .

— ماذا يا صاحب السعادة ؟

— ان هذه القصة من ثلاثة أجزاء ، ونم تعطنى الا الجزء الاول

منها ، فلما أتممت قراءته ازددت شوقا الى الجزاين الآخرين ، حقا
ان كل جزء منها فى الف صفحة ولكنى التهم مثل هذه القصص
التها .

— نيسمح لى صاحب السعادة ان آتية الليلة بالجزاين

الآخرين ؟

مقال صاحب السعادة فى بساطة وود :

— امى ادعوك على الغداء يا صديقى ولتات بالجزاين معك لائى .

احب القراءة بعد الغداء .

ونفض الرجل وصائح صاحب السعادة وانصرف بقسامته

القصيره وهو يحس انه قد بلغ السقف طولاً . . حتى انه طأطأ

رأسه ليهر من الباب .

روما ٢٠/٦/١٩٧٣

معقول

وضعت أضياف الكسب غير المشروع على تضد جلس خلفه
ثلاثة قضاة ، ومد كل منهم يده وجذب ملفا راح يقرؤه في أمان ،
ثم رفع أحدهم رأسه والتفت الى كاتب الجلسة وقال وهو يدفع اليه
الملف :

— يستدعي صاحب هذا الملف لجلسة الاسبوع الأخير من
الشهر القادم . .

وبتاد الضمائم ثمانية فقد عاد القضاة الى فحص الملفات وقد
ظهر في وجوههم الجذ والاهتمام ، وأخذ كاتب الجلسة يسجل كل
ما تتحرك به الشفاه . وارتفع صوت أحدهم فجأة قال :

— اني سأنتجى عند نظر هذا الموضوع .

فالتفت زميله اليه وقال أخدهم :

— لماذا ؟

ويداع من حب الاستطلاع مد يده وأخذ الملف من زميله وراح
يفحص عنه في اهتمام ، ثم قال مداخبا :

— لا أرى تشابها بين اسمك واسمه .

فقال الأول في هدوء :

— لا توجد صلة قرابة بينى وبينه ، ولكنه كان زميلى فى
الفصل .

— وهل هذا مثير كاف لتتنحى ؟ !

— انه لم يحصل الا على البكالوريا ، وهو يذكر فى اقراره انه
يملك مائة وخمسين ألفا من الجنيهات .

مقال الذى كان يقلب صفحات الملف :

— ولم يذكر من أين جاءته هذه الثروة .
مقال ثالثهم :

— لعله ورثها أو ورث بعضها ، فالمال يتكاثر فى كل عصر .
مقال الاول :

— انه كان كثيرا ما يتأخر فى دفع مصروفات المدرسة ، وما
كانت تزيد فى السنة على ستة جنيهات . . ولا أحب أن أذكر أننا
— طلبة فصله — كنا نتعاون على سداده الأقساط .
— كل هذا لا يدعو الى أن تتنحى .

— فنى اعرف انه كان طوال حياته خاملا ، ولم يكن فى يوم
من الأيام أكثر من كاتب كآلاف الكتب الذين تفص بهم مصالح
الحكومة ، فمن أين له مائة وخمسون ألفا من الجنيهات ، وأنا لا
أملك مائة وخمسين ألفا من المليارات وقد قاربت على سن المعاش .
لا أحب أن أحكم بها أعلم ، وأكره أن أرى صديقا قديما لى وهو
أمانا يتوارى خجلا . . ويجفف عرقه ولا يجد لسانه .

فدفع الذى بيده الملف بالملف الى كاتب الجلسة ، وهو يقول :

— هام وعاجل جدا ، يستدعى صاحب هذا الملف للجلسة
الاولى من الشهر القادم .
مقال الاول :

— نحن احضر تلك الجلسة .. ينتدب من محل مكانى .

— بل تحضر وتتحدى عند تظر هذا الموضوع .

وبجاء اليوم الموعد ، وفتح المتعد وخرج منه رجل اشيب
قصير القامة دميم الخلقة يكاد يملأ وجهه أنفه الكبير ، وكان يرتدى
بذلة من الموهير الأسود تتدلى من عنقه كرافطة تعلن أن لابسها من
الأثرياء .

ووبج الرجل باب مقر اللجنة ووقف يثقل لا يدري أين يذهب ،
فإذا بأحد الحجاب يسرع اليه ويتوده الى . غرفة بها نضد طويل
جلس حوله بعض الرجال ، وخلف النضد شئنا لحفظ الملفات
ولمفاتات انحصر التي أسندت الى الحائط ، فأحس في قرارة نفسه
امتعاضا ولكنه توجه الى كرسى عند رأس النضد وجلس وهو يحيى
الموجودين بلباءة خفيفة من رأسه .

وقال له الحاجب في جفاء :

— الأخطار .

فأخرج من جيبه مطروفا أصغر وأخرج منه كتاب استدعائه
ودفع به الى الحاجب في ثبات ، وما أن استقر حتى راح ينقل عينيه
في الموجودين .. كان كل منهم قد جاء ومعه مستنداته . . . وضعها
إمامه في ملف أو ظرف كبير أو في حقيبة من الجلد . ولوى شفته
السفلى في سخزية فقد جاء وليس معه مستند واحد يرى
سطاحته .

وكأنما ضاق الناس بالصنعت الذي خيم عليهم ، وكأنما أراد كل
منهم أن يفر من الوحدة القاتلة التي فرضها على نفسه ، فإذا بكل
منهم بيت شكواه لجاره . . . كان أحدهم في المعاش فراح يشرح
مصدر ثروته التي يسألونه عنها بعد أن ترك خدمة الحكومة منذ
خمس سنوات ، قال أنه اشترى أرضا استصلحها ، وأنه كان يبيع

محصولها ، وإن مرتبه كان يمكنه من شراء الأرض فهو يسكن في بيت الأسرة لا يدفع إيجارا ، وأنه كان يعيش من الخيرات التي كانت تأتيه من البلد .

وتحدثت رجل في مصيبة ، قال أنه يعمل في شركة تأمين . . حقيقة أنه لا يحمل شهادة عليا ولكن نشاطه مكنه من أن يحصل على أموال كثيرة . هل تعرف اللجنة حقيقة وظيفة موظف التأمين ومقدار عمله ؟

وراح سائق يروي بلهجة بلدية فكهة مشكله . . أنه لم يعمل في الشركة أكثر من شهر واحد ، فالبيت الذي يسالونه عنه قد ورثه هو وأخوته الأربعة عن أبيه ، وقال :

— دأ حتى بيت لا طلع ولا نزل . . . يعني خلاص ما فيش في البلد دي حرامية الا احنا .

وانطلقت تعليقاته الظرفية فمحا ما خيم على المكان من كآبة ، وأشاع الإهجة في النفوس القلقة الخائفة .

وجاء الحاجب وأشار للرجل الأثيق أن يتفضل ، فاستار في خطى ثابتة حتى دخل على اللجنة فالتقى اثنين يرمثانه من وراء مكتب صفت فوقه بعض الأضابير ، فاحس أن نظراتها غير ودية فلم يحفل بذلك ، بل التفت عليهما التحية في رقة ، فلم يسمع لتحيته جوابا ، فجلس أمامهما على الكرسي الخالي دون أن تختلج منه الخليفة .

وبدا أحد الرجلين يلتقى أسئلته وكاتب الجلسة يدون كل مايسمع :

— اسمك ؟

وقبل أن يفتح فمه كان الذي التى السؤال يجيب في تودة ليكتب الكاتب الاسم . وقد عجب صاحبنا في نفسه لذلك فهم يعرفون

اسمه من غير شك وقد استدعوه باسمه قبل أن يدخل ، ولم
تسبح له فرصة أكبر للعجب والتعجب ، فقد صك أذنيه صوت
الرجل العابس :

— تاريخ ومكان ميلادك ؟

— القاهرة عام ١٩١٨

— الشهر . . ؟

— ٢٧ مايو ١٩١٨

— ذكرت في اقرار الذمة المالية أنك تملك عقارات وسندات
قيمتها مائة وخمسون ألفا من الجنيهات .

— تعجب ؟

— لم تذكر في الاقرار مصدر هذه الثروة ، آلت اليك عن

ميراث ؟

— لا

— هل دخلك من وظيفتك يسمح لك بتكوين مثل هذه الثروة ؟

— لا .

فاعتدل الرجل العابس وقال :

— فيما مصدر ثروتك ؟

فقال الرجل الاثني في هدوء وثبات :

— زوجتي مانتيكان .

نالتفت المحقق الى زميله ، وسادت برهة صمت وسرعان
ما أحس الرجل العابس أن عليه أن يصدر قرارا فأملى على كاتب
الجلسة .

— يستدعى الزوجة في الجلسة القادمة .

وقام الرجل الاثني وخرج مزفوع الرأس ثابت الخطو ، وسار

صوب المصعد والحاجب يسير أمامه مرة وخلفه مرة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة .. ابتسامة يعرف الرجل الأنيق كل ما فيها من سر وعلائية ، حتى اذا ما بلغا المصعد ضغط الحاجب على الزر وهو ينحنى انحناء خفيفة كلها ملق . فلما صعد المصعد وفتح الباب وضع الرجل الأنيق جنيتها في يد الحاجب ، فاذا بابتسامته تتسع ، واذا بانحناءه تزداد ، وقبل ان يغيب الرجل الأنيق في المصعد لمح الحاجب الآخر وهو يرقبه وهو يضع الجنيه في يد زميلة ، ولح التقطيب الذي علا وجهه فاستشعر راحة في المرة القادمة ستكون المقاتلة أكثر ودا وترجيها ..

ومرت الأيام وجاء اليوم الموعد ، وانفجر المصعد عن الرجل الأنيق الأشعيب دجيم الوجه وعن فتاة رائعة الحسن قد كشفت عن ساقين متناسقتين وركبتين لا ضخامة فيهما ولا اعوجاج ، قد خرج منهما فخذان صورهما مبدع الجمال فائق خلقهما .. سارت يتقدمها مبدان شامخان يظلمعان الى الكون كله في تحد وغرور واعتزاز ..

وسبقها أريج عاطر نفاذ جعل كل الذين كانوا حول النضد المتواضع في غرفة الانتظار يديرون رؤوسهم الى المبر في ترقيب وانتظار .. فاذا بالحاجبين يسيران ينظران مرة الى الخلف ومرة الى الأمام لكأنما كانا مكلفين بافساح الطريق أمام موكب رسنى خطير ، واذا بالرجل الدميم والى جواره تحفته الرائعة التي كشفت في لمح عن خاتنة أمين الجميع وان كان أغلبهم ممن أحيوا الى المعاش ، وراح كل من في قاعة الانتظار يفسح مكانا الى جواره وهو في ترامة نفسه يتمنى أن تجلس الحسنة بالقرب منه لحظات ليريح ذهنه المكثود ويسعد بلذة لم يعد له نصيب فيها الا متعة

النظر والخيال . وفجأة أصيب الجميع بخيبة أمل فقد سار القبح والجمال في الممر الطويل الى باب اللجنة .. الذي خف أحد الحاجبين وفتحته وقد اتحنى انحناءة ترحيب ، وانفرج فمه عن أسنانه البيضاء وقد غمرته راحة حقيقية ، فجمال المرأة كان يدغدغ الحواس ويملا الوجدان بالأحلام ..

ودخل الرجل وقدم زوجته الى اللجنة وكانت من نفس العضوين اللذين استجوباه أول مرة ، فإذا بالرجل العابس يمشي وينهض ويشير الى كرسي أمامه لا يفصل بينه وبينه الا المكتب الذي وضعت فوقه بعض الأضابير ، وأشار في ود وقال في صوت رقيق عذب كان وقع غريبا في أذن الزوج الأثيب :

— تفضلى .

فجلست الحسنة ووضعت ساقا فوق ساق ، فإذا بكاتب الجلسة المسمى بكاد يري ما لا يري يتغير لونه ويجف ريقه ويجس أنه فقد لسانه ، فتمنى في قرارة نفسه الا يسأله أحد سؤالا يحتاج منه الى جواب ، فلو أن أحدا فعل فسيتهدج صوته وينكشف الفطاء عما يكابد من انفعالات .

وبعد أن سألها أحدهما عن اسمها وسنها ومكان ميلادها

الفتاة قال :

— أنهنة من فضلك .

فثالت وهي تميل بصدرها نحو المكتب ، فيبدو لعمري الرجلين الأخذود الأرائع الذي حفر بين نهديها من منبعه الى مصبه كسر يكاد ييوج مكنونه ويميط اللثام عن مصدر الثروة التي ذكرت في

الآقراء :

— ما يمكن .

ولم يكن هناك ما يحتاج الى بيان والبرهان مائل أمام الأعين ،
ولكنها ارادت ان تزيد الموضوع وضوحا فقالت فى الة :

— عرضت أزيائى فى باريس ولندن ومدريد .

فقال أحد الرجلين فى خبث :

— ألم يكن للبلاد العربية نصيب ؟

نقالت وقد فطنت الى ما يهدف اليه وعلى شفتيها ابتسامة
آسرة :

— كانت أول جولتى فيها .. الكويت .. قطر .. البحرين .
كنت فى الشتاء الماضى فى دى .
وفان الرجل الآخر :
— شكرا لك .

وبهضت ونهض الرجل الأشعيب وسارا .. هو يتقدمه أنهفه ..
وهى يتقدمها ثديان بشملان عيى الحاسد ، فلما غابا عن المكان
نظر أحد المحققين الى الآخر وقال :
— مائة وخمسون ألف جنيه ،

فقال زميله :

— تستاهل .

وانتفت الى كاتب الجلسة وقال :

— يخفض .

روما ١٦/٦/١٩٧٣.

أرملة من فلسطين

أقتربت المضيئة من على — وكانت ترتدى ثوبا من زرقة السماء الصافية تعمل على هيئة شوال — وهى تقوم بخدمة ركاب الطائرة ، فأشار لها إشارة خفيفة مخفت اليه مبتهمة تسأله عن حاجته . . فطلب منجان شهوة سادة . وانطلقت المضيئة بقامتها الفارعة الى مطبخها الصغير الأنيق وثوبها يتثنى فى الفراغ بين الاكتشاف والأرداف ويجسم مفاتها الصارخة .

والثفت على عن يستاره فوقعت عيناه على امرأة سمراء البشرة عسلية العينين يحدهما من أسفل هلال أسود ، ترتدى ثوبا كحليا من قطعتين ، وراحت تقرأ فى كتاب « البنات والصيف » ، وقد تركت المقعد انذى يفصل بينه وبين المشى الضيق خاليا ، وجلست فى المقعد التالى له ، ووضعت المجلات الأخرى التى كانت تحملها فى الجيب المشتوق فى ظهر المقعد الذى كان أمامها .

وعادت المضيئة تحمل منجان القهوة ومنجان شأى ، ووضعت القهوة أمام على ووضعت الشئ أمام السيدة السمراء التى كانت جسيحة من الأسى تكسو وجهها ، وأخذ على يحتسى القهوة . ولح طرف عينه السيدة السمراء تخرج من حافظتها زجاجة صغيرة

تضع منها بعض قطرات في حرص في الشاي ، ثم تعيدها الى مكانها .

واسترخى على في مقعده ، والتقت عيناه اكثر من مرة بعيني السيدة وقرأ في نظراتها نداء أحبس وقعة في غواده ، كان نداء غريبا على ، شاعره لم يعرف تاويله ، وظل حائرا مدة في تفسيره ولم يخطر له على قلب أنه نداء يشوبه ظل من الجنس ، فقد كان البريق المشع من عينيها يحرك الجوانب الطيبة في نفسه .

وهبطت الطائرة في مطار بنينة ، وأسرع على الى الاستراحة دون أن يلتفت الى السيدة ، كان الجو حارا والمكان مكتظا بالابطاليين والأمريكان ، والمراوح القليلة المتدلية من السقف عاجزة عن تجميد عرقه المتصبيب فأخرج منديله وراح يبرره على وجهه ورقبته وقفاه .

وأقبل الجرسون الليبي ووقف أمامه فقبل على :
سعادة جدد .

ومس الطلب أذن الشاب جالس بالقرب منه فالتفت اليه في فضول ، وعطن على الى ما في نظرات الشاب من تساؤل فابتسم له وقال :

— هذه أول مرة تزور فيها ليبيا ؟

فقال الشاب في راحة :

— نعم ، ولن أمكث فيها طويلا .

— ألا تشرب شيئا ؟

— شكرا .

— أعرف أن ليس معك نقود ليبية بعد ، لا تهتم بذلك فمعنى نقود ليبية كثيرة ، اننى أهمل هنا من ثلاث سنوات .

وأشار على الى الجرسون أن تعال ، ولما جاء قال على للشباب :

— « اتشرب » بهبة « أم قهوة جدد ؟ »
وبانت الدهشة في وجه الشاب فلم يدر ماذا يختار ، ولم يتركه
على لحيرته بل قال :
— قهوة جدد أي قهوة « قدقد » أي سكر « ع الريحه » ، فما
رايك ؟
— أهى مثل القهوة المصرية ؟
— لا انها قهوة بنها مجروش لن تعجبك . . افضل لك
« بهبة » .
وقبل أن يقول الشاب شيئا قال على للجرسون :
— بهبة . .
وذهب الجرسون وقال على للشاب :
— سنتناول قهوة مصرية في بيتي ، اننى قاطن في طرابلس
بالقرب من فندق مهاري .
وظل وجه الشاب جامدا لم يزد على عليها بشيء ، انه لم ير
طرابلس من قبل ولا يدرى أين يقع ذلك الفندق الذى يتحدث عنه ،
وقال الشاب :
— اشكر لك دعوتك .
وعاد الجرسون ووضع القهوة أمام على ووضع كوبا به سائل
أبيض في لون اللبن أمام الشاب ، ونظر الشاب الى الكوب مليا
وقال :
— أهذه هي « البهبة » ؟
— ذعها انما لكيفه .
ورفع الشاب الكوب الى فمه ورشف منها في حرص ثم قال :
— لذيفة ! يخيل الى اننى شربت هذا الشراب من قبل .
فابتسم على وقال

— انها سوبية .

ورشف على من الفنجان رشفة ، ورفع عينه الى الجرسون وقال
وهو يهز رأسه استحسننا :

— « باهى » :

وأشرق وجه الجرسون بابتسامة عريضة وانصرف راضيا ،
وقال الشاب :

— ما معنى باهى ؟

— معناها « حسن » ، وقد سمعت في ليبيا أنها كلمة عربية
ولكنني لا أفهم في اللغة شيئا .

فقال الشاب وهو يضحك :

— « باهى » فعلت .

فقال على وهو مسرور :

— لو كانت كلمة عربية لوجب أن تقول : « باهيا فعلت » .

وراح الجرسون يمر على الموائد وهو يعرج ، ولمح على آثار
الآلم في وجهه فقال له لما دنا منه وهو يشير الى رجله :

— ماذا بك ؟

فقال الجرسون وقد أرفضاه أن يهتم غريب بأمره :

— « كراعى » تؤلنى ، ارتطمت بمقعد هذا الصباح .

واستأنف الجرسون عمله ، ولما ابتعد قال الشاب :

— كراعه تؤله ؟ ما هي كراعه ؟

— ساقه .

— الساق اسمها كراع ؟

— انها من الكراع .

ومر بعض الوقت ، وأقبل الجرسون وقال :

— ستتحرك الطائرة بعد خمس دقائق .
فقال على في هدوء :
— واتى .

وأخرج من جيبه حافظة نقوده ودفن ثمن ما شربه وما شربه
الشباب ، وأبعد الجرسون وقال الشاب في صوت خافت وهو
يقدر أناد فكره محاولاً أن يفهم معنى الكلمة :
— رانى ! واتى ! ..

فقال له على وهو يبتسم :
— لا تجهد نفسك ، انها ليست كلمة عربية ، انها كلمة بربرية
ومعناها : أنا مستعد .
وضحك الشاب وقال :
— وأنا « واتى » .

وجاء رجل يسعى ووقف في وسط المكان وصفق ثم قال :
— تفضلوا ..
ونهض المسافرون الى طرابلس ليستأنفوا رحلتهم ، وسار على
والشباب الى الطائرة ، وقبل أن ينعنعا في الدرج التفت على الى
الشباب وقال :
— لا تنس أنك مدعو لشرب القهوة المصرية في بيتي .
— شكرا لك .

— بعد ساعتين من الملل والفراغ سنحتسى القهوة المصرية معا
ان شاء الله .
— ان شاء الله .

وعابا في الطائرة ، وانطلق على الى مقعده والتفت الى السيدة
السمراء فآلفاها قد اضطجعت في مقعدها وسقط رأسها على

صدرها وغابت عن الوجود ، وجعلت تشهق وتزفر فى جهد وقد تفصّد العرق من وجهها ، نفخ اليها وجلس فى المقعد الخالى الى جوارها وتناول يدها وجعل يدلكها بيديه ، ثم رفع يده وراح يضرب خدها فى رفق لعلها تفيق دون جدوى ، فنادى المضيفة فجاءت بسرعة فقال لها فى لهفة :

— خولونيا من فضلك .

وهرولت المضيفة بجسمها الفارع وغابت قليلا فى مقصورتها وما لبثت أن عادت مسرعة تحبل زجاجة الكولونيا ، فبسط لها كفها فصبّت فيها الكولونيا ، فادناها من أنفها ثم راح يمسح بيده وجهها وجيدها .

واضيئت اللامبة التى تأمر الركاب بربط أحزمتهم ، فلف حزام المقعد حول وسطه ومد يده ليلف حزامها ولكنه أحجم ، أحس كأن رجلا آخر يتلبسه يصيح به فى زجر الا يفعل ، وانكمش أمام ذلك الصوت التامى وثلث حركته ، وأشار الى المضيفة أن تربط لها حزامها ففعلت ثم أسرعت الى مقعد خال وجلست فيه ولفّت الحزام حول وسطها .

وراحت الطائرة تدرج على الأرض ثم ترتفع فى الجو وهو بذلك يديها فى رفق ويربت على خدها فى حنان حتى فتحت عينيها ، ولما رآته ابتسمت له ابتسامة شاحبة ، وترجم البريق المتالى فى عينيها عن شكرها ورضاها .

ورفعت رأسها واعتدلت فى مقعدها قليلا ، فقال لها :

— كيف أنت الآن ؟

— أحسن .

وانتظم تنفسها وعادت الحمرة الى خديها ونبضت الحياة فى

عينها ، وظل الهلالان الاسودان اللذان يحدان عينيها من أسفل على حالهما ، ومال نحوها وقال لها :

— اهذه أول مرة يحدث لك فيها هذا الذى حدث ؟

فقالت فى نبرات يشنوبها أسى :

— حدث لى ذلك مرة قبل اليوم ، وقد عرضت نفسى على الطبيب فقال لى ان دورة الدم غير منتظمة ، ولكننى فهمت أن قلبى ضعيف .

— ومن أين جاء هذا النهم ؟

— وصف لى أن اتناول أربع نقط من الكورامين ثلاث مرات فى اليوم ، فإذا لم يكن قلبى ضغينا فلماذا وصف لى الكورامين ؟

ولم يكن يفقه شيئا فى الطب ولكنه أحس رغبة فى أن يدخل الطمانينة على نفسها الواجفة فقال فى حماسة :

— وصف لك الكورامين ليعاون على انتظام دورة الدم ، لقد وصف لى الطبيب مرة استعمال الكورامين مع أن قلبى سليم ، انه علاج عارض .

وصمت وراح يسأل نفسه : لماذا كذب ؟ وما الذى دفعه الى هذا الكذب ؟ وقبل أن يسترسل فى حساب نفسه قالت له :

— أظن أنك رايتنى وأنا أضع الكورامين فى الشاى ؟

— نعم .

ولتقت عيناها بعينه . كانت نظراتها اليه تختلف عن النظرات التى حار فى أمرها ، انها نظرات راضية تدعوه الى الاسترسال فى الحديث الذى ينزل السكينة على قلبها ، بينما كانت نظراتها التى غمت عليه تقوّل اليه أن يخفّ إليها ليحميها من الغيوبة التى كانت تزحف لتحببها عن وعيها .

عرفت على شفيتها بسمة وقالت :

— أحسست أنني سأفقد من الوجود قبل أن تهبط الطائرة
فتمالكت ، حتى إذا ما استقرت الطائرة على أرض المطار أسرع
الى شرفة المضيفات وتمددت في سرير الأيسر للدم الصعود الى
رأسى . وقد أحسست بالراحة فعلا ولكن ما أن عدت الى الطائرة
حتى شعرت بالاضغاء يعاودنى .

— نعلك أجهدت نفسك في الايام الاخيرة .

— عدت بالطائرة من الاسكندرية الى القاهرة ، ومن القاهرة
ركبت هذه الطائرة .

فقال على في دهش :

— أنت مصرية ؟

فهزت رأسها أن نعم ، فعاد على يقول في انكار :

— ان من براك يحسبك سورية .

— حقا ؟

— أنت سورية على الرغم من سمرة بشرتك ، التقاطيع ..
الأنف .. الدم .. حتى لهجتك ..

فقالت وقد اشرق وجهها بابتسامة حلوة :

— أبى مصرى وأمى فلسطينية .

— وأين ولدت ؟

— فى القدس .

— وأين أبوك الآن ؟

فقالت فى بساطة :

— مات ولجئت به أمى .

فقال على مواسيا :

— هذا حالنا ، وأنا أيضا مات أبى ولحقت به أمى .
فقال فى مرارة :

— ان كان أبوك وأمك قد ماتا فقد بقى لك وطنك ، أما أنا
فلا وطن لى .

فقال على وقد اتسعت عيناه :
— ألم تقولى ان أباك مصرى ؟

— ولكنى ولدت فى القدس ، وعشت فيها وتفتح شبابى
عليها ، اننى فلسطينية ، ولقد عشت النكبة وقت مرارتها وتجرعت
كأس التشريد ، اننى مذمررت من وجه الطغيان أهيم على وجهى
نائمة فى هذه الدنيا الواسعة ، وكلها مرت الأيام ازداد إحساسى
بوحدةى بشاعة ، وأتصور أحيانا أن العالم كله يمقتنى .. هدفه
أن يسحقنى ، ويا ليتة يقضى على دفعة واحدة الاستريح ، ولكنه
يتفنن فى تعذيبى . اننى لا أظن ان الزمن قد عذب أحدا كما عذبنى .
فقال لها على فى الشفاق :

— أوهامك تصور لك ذلك ، انت مريضة بالوهم .
فابتسمت فى استخفاف وقالت :

— يا ليت أأ .

— الكورامين .. ضعف القلب .. تسوة الحياة .. كلها أشياء
من خلقك انت .

فبالت وقد غامت صفحة وجهها بسحابة من الأسى :

— لولا اننى لا أريد أن أثقل عليك لتقصصت عليك قصتى .
فقال على فى صدق :

— انه لما يشرح صدرى أن أصبغ اليك .

— ولكن قصتى لا تشرح الصدر .

ويظهر اليها طويلا دون أن ينبس بكلمة ، وشرذ مفكرا . . كان يبحث عن الالفاظ التي تترجم عن الاحساس الجياش الذي يملأ جوانحه ، وضاق بالصمت الذي ساد بينهما فقال :

— قد تبستريح النفس الى حديث فياض بالأسى وتنفّر من حديث زاحر بالمرح ، العبرة في أن يفتح القلب للقلب ، وقلبي الآن متفتح لكل ما يخرج من بين شففتيك .

وأسبلت جفنيها على عينيها . . بهرها ذلك البريق المثلّق في عينيه . وظل يرمتها فاستشعر ميلا اليها ، انها قريبة اليه . . اقرب من ذلك الفراغ الذي يفصل بين مقعديهما ، وقال :

— ثولي كلّي آذان .

والفتفت الية بكل جسمها ، وراحت تقص قصتها في صوت مشوب بأسى ينفذ الى القلب ويحرك مواجع النفس ، قالت :

— كان بيتنا في القدس ، وكانت مدرستي في شارع الملك داود ، فكنت أذرع الشارع انا وصوتيجباتي في الصبح وفي العصر ، ومرت الأيام والشهور والسنون زاحرة بالغبطة والامال ، يزيد جمالها ما تضفيه عليها قلوبنا الشابة الخلية النابضة بأروع مشاعر الحياة .

وجاء اليهود الامباكون الى الوطن الحبيب من بمشارق الارض ومغاربها في حماية دولة الانتداب ، وبعد أن كانوا أذلة طغوا وبغوا واشتدّت مطالبتهم بتفيذ وعد بلفور المشنوم ، وقمنا للدفاع عن كياننا ولكن الانجليز كانوا يضربون على أيدينا بشدة ويتركون الامباكين يرتكبون الجرائم في حمايتهم .

واعلن الانجليز انسحابهم من فلسطين بعد أن أحكموا تدبير مؤامرتهم مع اليهود ، فراحت فلسطين ترقص على فوهة بركان ، وكثرت الاشتباكات والاغتيالات .

وفى ذات صباح كنت أجتاز شارع الملك داود وكنت قد بلغت التاسعة عشرة ، واذا بشابين يهوديين يعترضان سبيلي وقال أحدهما : « نعلمين أن فتاة يهودية قتلت أمس ، قتلها العرب » ، وارتجفت وتحركت لأمر من وجهيهما واذا بصوت آمر يقول : « قفى ، ستموتين الآن كما ماتت أخنأ بالأمس » وأخرج مسدسه وصوبه الىّ وهو يقول : « صلى » ، ولم أفل شيئا ، تملكنى رعب شديد ، وأحسست أن رأسى فراغ ، تعطل فكرى وان كانت مشاعر الخوف تكاد تقضى علىّ .

وسمعت صوت انطلاق رصاصة وانهرت على الأرض كما ينهار الجدار وقرمى وجدانى أننى مت ، وغبت عن الوجود . وتقطعت لحظات وأنا لا أحس شيئا ، وبدأت المشاعر تعاود نبضها فى جنبائى ، وفتحت عيني وأنا خائفة. فرأيت أشباحا تترافض وأخذت الصور تتضح لعيني شيئا فشيئا ووعبى يعود الىّ ، ففطنت الى أننى مستلقية على الأرض وأن رأسى على ذراع رجل ، وأن الناس التفوا حولى .

ونفضت اتحسس مكان الرصاصة فى جسمى ، وكما كانت دهشى عندما اكتشفت أنها لم تصبني . وتطوع كثيرون لقص ما حدث على مسامعى ، وقد فهمت من رواياتهم أن دروية بريطانية ظهرت فى الطريق فى الوقت الذى صوب فيه للجبان مسدسه الىّ ، وأنه ارتبك فطاشت رصاصته ومرت بجوارى وأن اليهود بن أسرعوا الى سيارة كانت فى انتظارها وقرا هاربين . ودممت قليلا ثم قالت :

— ليتنى قتلت فى ذلك الصباح واسترحت من العذاب الذى كان فى انتظارى . بعد تلك الحادثة نسف فندق الملك داود وانسحب الانجليز بعد أن تركوا بعض أسلحتهم لليهود ، وبدأت المذابح

ودخلت الجيوش العربية لانتقاذ فلسطين ، وكانت خيانات الملوك فسقطت القدس الجديدة فى أيدي الصهيونيين ، وكان علينا أن نترك الدار التى نشأت فيها ونفر من الموت الذى يتعقبنا ، وهما على وجوهنا مرعوبين وأصبحنا لاجئين بعد أن كان لنا بيت وأهل ووطن .

واسبلت جفنيها على عينيها لتخفى الحزن الدفين الذى تحرك واحتشد فى مقتلها ، وقالت فى مرارة :

— وفجأة وجدنا انفسنا فرعا بلا اصول ، عضوا أبتز انفصل عن الجسد . وكنا على الرغم من الشقاء الذى نتجرعه أسعد حالا من أخواننا ، كانت جنسية أبى جواز المرور لنا فأنطلقنا الى مصر وحفظنا رجالنا فى الاسماعيلية .

وبدا أبى من جديد .. وانها لقسوة أن تضطر الظروف من كان يعيش فى بحبوحة مثله أن يبدأ من جديد ، واتضح أن الأمر ليس فى مثل السهولة التى صورها لنا أول ما هبطنا الاسماعيلية .. وفطنت أن الواجب على أن اعمل لأساعد أبى وأمى ، ووجدت عملا فى مدرسة . ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدرسة تعلم الفتيات الحساب .

وذمت طعم الاستقرار فى الاسماعيلية ، ولكن كان قلبى متعلقا ببينى الذى كان هناك يزرع تحت ذل لاحتلال الصهيونيين .

وعرفته فى المدرسة ، كان مدرسا للغة الانجليزية وكان وديعا خجولا .. اذا تحدث الى يترك الى الأرض ويقضم اظفاره بأسنانه كالاطفال ، وقد مست وداعته وترا حساسا فى نفسى وخفق قلبى بحبه ، وقد عجبت لذلك الاحساس الجميل الذى تدسس الى ظلام روحى فى غفلة منى .

وافزعنى أن قلبى قد خفق بالحب على الرغم من المحنة التى
نعيش فيها . حاولت أن أقهر ذلك الشعور وأن أقبره ولكن الحياة
أقوى من أتراحنا ، فظفنا حبى فوق أحزائى وتحدى فى لغتائى
وحركائى ونظرائى ، حتى أن أمى فطنت إلى التبدل الذى اعترانى
وسألتنى فى حثان عن حياتى وعن شعورى نحو زملائى ، فافضيت
إليها وأنا مطرقة أكاد أذوب خجلا بسر قلبى ، ونظرت إليها من
بين أهدابى المسبلة لأقرأ الغضب فى وجهها ولكنها كانت متبسطة
الأسارير تتألق نظراتها بالغبطة ، وطفئت سماعاتها حتى أنها ضمتنى
إلى صدرها وقبلتنى .

وشد أزرى رضا أمى فأشرقت نفسى ، وأقبلت عليه أحادثه وأنا
نابضة بالحب والحنان ، فاستراح إلى وحلفت عقدة لسانه وكشف
عن مكتون صدره ، قال أنه يحبنى وأنه لا يستطيع العيش بدونى ،
وأنه يريد أن يتخذنى زوجة ويود أن يسمع رأى .

وغردت بلابل نفسى ، وتفجرت ينباع سماعاتى ، وصفت الحياة
فى عيى وظفرت دموع الفرح من مقلتى ، ولم تتحرك شفثاى بكلمة
وان نطقت كل ملامحى وخلجات ذاتى ترحب بذلك العرض الكريم ،
وأحس السعادة التى غمرتنى ، وهنا قلبه بحديث قلبى فقال فى
صوت خافت زأخر بالغبطة : شكرا .. شكرا .

وتم زواجنا ، ومرت الأيام وأنا هائمة فى دنيا كلها غبطة ..
وفجأة استيقظت من الحلم الجميل على موت أبى ، حزنت وبكيت
ولكن زوجى مستح بيده الحنون دموعى ، وبرئت روحى من أحزائها
بما سكبها فيها من عطف وحنان .. واستأنفت حياتى أعب كئوس
سماعاتى . وتصربت سنون وماتت . أمى فنكا موتها جرح نفسى
وعادتنا نكمتنا تتمثل لعينى ، صرت أراها فى يظلتى وفى نومى ،

ويا طالما رأيت في أحلامي الشبابين الصهيونيين وهما يستوقفاني
في شوارع الملك داود ويصوب أحدهما إلى مسندسه فأهبط من نومي
مفروعة وأنا أصرخ في رعب وهلع .

كان عزائي يوم موت أبي أنه دفن في أرض وطنه ، أما أن تموت
أمي مشردة دون أن تلفظ آخر أنفاسها في القدس فذلك الذي كان
يقطع نياط قلبي . وأصبحت حليفة أحزائي ، وبذل زوجي ما في
طوقه ليرفه عني ولكن جرح فؤادي كان أعمق من أن يلتئم ، قبحه
استسلامي لاحتساساتي السوداء .

آه لو كنت أدري ما يخبئه لي قدرى لقاومت مشاعري وفهرته
بكل ما تزخر به نفسي من حنان ، ولكن لم يخطر لي على قلب أن
الزمن يدخر لي أسوأ ما في جعبته من مفاجآت .

كانت إسرائيل سبب نكبتى الأولى وكانت هي سبب فجيعتي
الثانية ، واننى أعيش الآن على أمل واحد أن أرى زوال تلك الباغية
التي جرعتنى أمر كنوس الحياة ، وأن يتلوى طفاتها من الألم على
ما اقترفوا من آثام .

نسجت إسرائيل خيوط المؤامرة على مصر ، وتم اتفاق الأوفاد
على الغدر بها . وتحركت إسرائيل على الحدود ، وحاول الإنجليز
والفرنسيون أن يطعنونا من الخلف ، وشنت الطائرات علينا
الغارات . ولا ادعى اننى تابلت تلك الغارات وأنا رابطة الجائس ،
كنت أرتجف هلعاً وأصيح محمومة أستنزل اللعنات على الغادرين ،
فقد كنت أخشى أن ينزل بوطن أبى ما نزل بوطن أُمى ، وأن نهيم
على وجوهنا جميعاً مشردين .

كان إذا ما انتشر أزيز الطائرات يهرع إلى ويضمنى إلى صدره
في حنان ليذهب عني روعى ، ولكننى كنت أتنفّس فى أحضانته

وأنا اسبب والعن وأصيح ، وهو يحاول أن ينفث في الاطمئنان
بكلماته التي يسكبها في .

وفي الليلة المشنومة استيقظت من نومي مفزوعة على أصوات
القنابل الهابطة من السماء ، ففتحت باب غرفتي وانطلقت أعدو في
الطريق دون وعي لا ألوي على شيء ، ولا أعرف أين أتوجه ، وهب
من نومي وراح يعدو خلفي وينادينى والقنابل تتساقط حولنا ،
وصكت أذننى صرخة مرعوبة ثم صوت انهيار ، وعلى الرغم من
الهلع الذى استبد بى ، أحس قلبى ما حدث وفى مثل لمح البصر
تمثلت لذهنى الفاجعة ، فانتشع خوئى فجأة ووقفت والتفت خلفى
فرايته يتلوى من الألم ، فعدت إليه ونظرت ، فإذا بالدماء تتفجر
من جراحه فارتبهت فوثقه أحاول أن اسد بىدى ينابيع الدماء المتدفقة
دوى جدوى ، وجن جنونى فجعلت أصيح وأنادى وأتلقت وضاعت
صيحأتى بين هزيم القنابل المدوية .

وسكن كل شيء ، حتى قد سكن عن الحركة ، وأخفيت وجهى
فى صدره الفارق فى الدماء وأنا أبكى وانتحب وأختلطت دموعى
بدمائه وتمنيت فى تلك اللحظة لو أن الطائرات تعود وتصبوب الى
كل ما تحمل لأذهب معه ، فقد كان آخر خيط يربطنى بدنيا الضواري
التي لا يزال يحكمها قانون الغابة .

ولم أطق العيش فى مصر بعده ، فرحت أسعى للخروج
منها ، وواتتنى الفرص فوجدت عملا فى ليبيا ، فحملت أحزائى على
ظهري وانطلقت اليها .

وصنعت وظل على يرقبها وقد نبتت مشاعر جديدة فى جوفه ،
كان يستشعر عطفها نحوها ويحس أنها صارت قريبة الى قلبه
حببية الى نفسه ، وأراد أن يظل حبل الحديث موصولا بينهما
فقال :

- وماذا تعملين فى ليبيا ؟
— نقالت دون أن تنظر اليه :
— ناظرة مدرسة ابتدائية .
وقال وقد تهدج صوته :
— اتعيشين فى طرابلس وحده ؟
— نعم ، وببتي فى شارع القاهرة . ولم استكن فى هذا
الشارع عفوا فقد صممت على أن أظن فيه ليذكرنى دوما
بمأساة حياتى .
— اذا كنت ترغبين فى أن تظل بمأساة حياتك حية فى نفسك
فقيم كان هربك من مصر ؟ !
— اننا نهرب دوما من مسرح المفاجعة ، ولا مفر من ذكراها .
— ولماذا لا تحاولين أن تنسى ؟
ولم تدعه يكمل حديثه ، وقالت فى مرارة :
— هيهات أن ينسى المرء عشه المتعبد الذى تقوض .
— لا تزالين شابة ، لماذا لا تحاولين أن تبنى عشا سعيدا .
آخر ! .
فابتسمت ابتسامة باهتة وقالت :
— أن كان شعرى لا يزال أسود فان الشيب قد نبت فى اغوار
نفسى وجلل وجدائى .
فقال خافق القلب وقد ازداد منها قريبا :
— قطرات من الحب كـ " " ، تعيد سنوادم الشعر الى
وجدانك .
نقالت وهى تبسم فى استخفاف :
— سيكون سنوادمه كسنوادم الصبغة ما يلبث أن يذهب .
— أنك لم تشيخى ، ولكن نفسك قد جرحت والأيام هى البلسم
الشامى الجروح .

خلوت شفتها وقالت فى مرارة :

— لو كان هذا حقا فسييرا جرح قلبى بعد أن يمتد اشتعال
الشيب من أعماق الى رأسى .
فقال فى انفعال :

— تتحدثين كأنما الشباب والجمال المادى كل شيء ، الحب
الصحيح هو حب الروح ، وما أكثر الذين سيعشقون روحك
لو فتحت لهم قلبك وخرجت من قوقعة ذاتك .
فقالت فى زراية :

— شكرا .

ولم تفتر حساسته وقال :

— انت وحيدة فى طرابلس وأنا وحيد ، اتسمحين لى بزيارتك ؟
فقالت فى ترحيب :

— لبيتك تفعل :

— قلت أن منزلك فى شارع القاهرة ..

— أمام محل منصور .

وابتسم وقال :

— تحدثنا طويلا دون أن يقدم أحدا نفسه للآخر ، أنا على
طه محاسب قانونى ، لى مكتب فى طرابلس وآخر فى بنى غازى
وأنا دائم التنقل بينهما .
فقالت وهى تبسم :

— تشرفنا .

مصنعت ولم تذكر له اسمها ولم يكن فى حاجة الى معرفته ،
فهو يحس فى تلك اللحظة أن روحها أنسابت بين جوانحه فأيقظت
أرق مشاعره الهاجمة . واضيئت الالفة التى تأمر الركاب بربط
أحزماتهم فلف كل منهما ذراعه حول وسطه ومال نحوها بكل جسمه

وأدنى منها أذنه ليمكن من سماع حديثها ، ولكن كلماتها ضاعت
فى هدير مراوح الطائرة التى علاصجيجها .
واستقرت الطائرة على الأرض فالتفت إليها وقال :
— حمدا لله على السلامة .

ومال وجذب حقييته الصغيرة من تحت الكرسى الذى أمامه ثم
نهض وأفسح لها طريقا ، ومدت يدها لتحمل حقييتها المتفتحة ولاح
فى وجهها أنها ناست من حملها ، تخف إليها وحمل الحقية عنها
وهى تقول :

— عفوا .. عفوا .

فقال وهو يبتسم :

— باهى .. باهى .

وسارت وهو خلفها حتى اذا هبطا الى أرض المطار انطلقا جنباً
الى جنب وهما يتحدثان ، وأحس على يدا على كتفه فالتفت خلفه
فاذا بالشاب الذى وعده بفنجان قهوة مصرية يشرية فى بيته يبتسم
له . كان على قد نسيه فى فهرة نشوته بالحديث الذى كانت
تسكية فى أذنيه . انه كان صادق الشعور سليم القلب ساعة أن
دعاه مما دار فى خلده أن يطرأ على حياته كل ذلك التغيير فى
ساعتين حسب انه سيقضيها فى ثأؤب وملل ، أما الآن فقد
زحف الضيق الى صدره وان لم تبد على وجهه آثاره .

والتصق الشاب به كأنما يحتوى به فما كان يدرى الى أين
يذهب وماذا يفعل ، وانتهت الاجراءات وخرجوا الى سيارة الشركة
التي كانت تنتظرهم ، وجلست وأسرع بالجلوس الى جوارها مسافر
آخر ، فأخذ على يرمته فى شزر ، ثم اتخذ مكانه خلفها وهرع
الشاب اليه وجلس الى جواره .

وانطلقت السيارة الى المدينة ، وقال الشاب لعلى وهو يبتسم :
 — عزمتم على أن أنزل فى الفندق القريب من بيتكم ، لقد ذكرت
 لى اسمه ولكننى نسيت ، ما اسمه ؟
 — المهارى .

وقال الشاب دون أن يفطن الى أن عليا يريد ان يظل فى رفقة
 نفسه ، يحلل مشاعره التى تفجرت بغزارة فى أعماقه بعد حديث
 السيدة الذى مرس أوتارا مرهفة الحس فى وجدانه :
 — وهل « المهارى » كلمة عربية ؟ .

فقال على فى نبرات تنم عن رجائه له أن يسكت والا يعاود
 الحديث :

— انها كلمة ايطالية ومعناها « الهجين » .

وقال الشاب ليظل حبل الحديث موصولا بينهما :

— قطعنا مسافة طويلة ولم نبلغ بعد المدينة ، فكم كيلومترا يبعد
 المطار عن طرابلس ؟

ولم يحر على جوابا ، ونظر اليه الشاب فالفاه شارد اللب ،
 فاحترم صمته مرغما .

وبلغت السيارة المدينة وهبط منها ركابها ، وسر عليا أنها
 وقفت تنتظر هبوطه فحفا إليها يودعها وهو خافق القلب يشنع من
 عينيه بريق أخاذ ، ومدت له يدها مصافحة فأسرع واحتوى يدها
 فى يده وضغط عليها فى خفة لتسرى المشاعر المواردة المريدة بين
 جنباتهما إليها ، وقال فى رقة :

— مع السلامة .

وقالت فى هجوء :

— منتظرة زيارتك .

وتدفق الدم حاراً الى وجهه وقال فى صوت متهدج :
— ان شاء الله .

وسارت وهو يرمقها ونشوة تدغدغ كل حواسه ، واحساس
بالرغبة فى ان يعدو خلفها ليكون الى جوارها دواما يملأ نفسه .
وغابت عن عينيه ، ودار على عقبه فالفى الشاب قد وضع
حقيبتيه بين رجليه ووقف ينتظره ، فابتسم له وقال :
— تعال .

وركبا عربة حنطور تظللها مظلة كبيرة مخططة من مظلات
الشواطىء ، وراح الشاب يملأ عينيه بالمحال والمباني والغادين
والرائحين ، وسارت العربة الى الكورنيش ، فصاح الشاب فى
مرح :

— لكأننا فى الاسكندرية ، فى الميناء الشرقى على التحديد .

وظل الشاب فى تلفته دون أن ينبس على بكلمة . . كان غارقا
فى بحار من الأفكار . ووقفت العربة أمام مبنى أبيض له مظلة
أقيمت على أعمدة مستديرة رفيعة اصطفت تحتها بعض سيارات ،
وفوق المدخل شيدت بناية مثمنة الشكل فى قاعدتها نوافذ ، وفى
منتصف المئمن قامت أسطوانة تنتهى بنصف دائرة ، وكتب فى أعلاه
بالعربية والإيطالية « فندق المهارى » ، وهبط الشاب وهو يحمل
حقيبتين ولحق به على ، وأراد الشاب أن يقول شيئا ليذهب
الوحشة التى بدا يحسها فقال :

— عربة جميلة .

فقال له على :

— انها تسبى هنا « كاروسة » .

وذهب على وحجز له غرفة ، وانتظره فى الردهة حتى ينتهى
من وضع حوائجه ويعود الية ، وأخذ على يذرع المكان وهو برم

بالانتظار . انه قد عرض على الشاب أن يصحبه الى بيته ليشرب
فنجانا من القهوة لأن حياته في طرابلس كانت فارغة وكان في
حاجة الى من يؤنس وحشته ، أما بعد أن قابلها فقد ذهبت عنه
وحدثه ومالت عليه حياته .

وعاد الشاب وصحبه على الى بيته ، ورحب به وقدم اليه قهوة
مصرية ، وراح الشاب يتحدث وهو غائب عنه . وفطن الشاب
الى شروده فاستأذن في الانصراف متعللا بتعبه وحاجته الى
الراحة .

وبقى على في البيت مع طيفها يتمثل الحديث الدائر بينه وبينها
ورن في سريرة صوته وهو يقول لها : « لماذا لا تحاولين أن تبني
عشا سعيدا آخر ؟ » فضرب كفه بقبضته وقال : « نعم ، لماذا
لا تحاول أن تبني عشا سعيدا آخر ؟ فلتحاول وسأعاونها على
تشيد ، اننى لم أفكر من قبل في أن أتزوج ولكننى الآن أتمنى من
كل قلبى أن تقبلنى زوجا ، ان روحى قد أحبت روحها . عشقتها .
هامت بها . . وجئت أخيرا ما كانت نفسى تشتت به وتهفو اليه » .

وارتمى في فراشه وسبح في عالم من الرؤى العذاب ، وتردد
في جوفه صوتهما وهى تقول : « ان كان شعرى لا يزال أسود ، فان
الشيب قد نبت في أغوار نفسى وجلل وجدانى » وهب من رقاده
شائرا وهو يقول : « لا ، لا ، أنها واهمة ، وهى دائما تضخم
أوهامها ، لقد أصبت كبد الحقيقة عندما قلت له : انها مريضة
بالوهم . ستأفغيها من وهبها هذا ، ستزوب ثلوج مخاوفها تحت
شمس حبي ، سأغذيها بالحنان حتى أقوى روحها وأعيد اليها ثقتهما
بنفسهما التى زهزعتها الأحداث » .

وعاد مرة أخرى الى فراشه وتمدد فيه وهو يغغم : « اننى

أحبها .. أجل أحبها على الرغم من أن عمر معرفتي بها لا يزيد
على ساعتين ، أن مشاعري لا يمكن أن تخدعنى وأنا فى مثل سننى ،
فقد تجاوزت مرحلة الطيش والاندفاع » .

وتقلب فى فراشه وراح يفكر فى الأرملة التى ملكت كل
حواسه ، وقر رأيه على أن يذهب إليها فى الغد يشرح لها فى
بساطة حثيثة مشاعره ويطلب منها الزواج . وعلى الرغم من أنه
قد استراح الى ذلك القرار فقد جافاه النوم ، واستمر طوال الليل
يجتر أحداث الساعدين اللتين امضاهما معها وهو مغمى بالغبطة
والإثمراح .

وتصرم الليل وأقبل النهار . فراح يتأهب للذهاب إليها خافق
القلب يحس كأنها قد خلق خلقا آخر ، ولما أتم تأنيقه هبط فى الدرج
مسرعاً ، وهرع الى سيارته وانطلق بها الى شارع القاهرة .

ووقف أمام محل منصور وقد اشحت وجيب قلبه ومشى
الاضطراب فى أوصاله ، ونظر فى قلب الى البيت المولجة للمحل
فالفاه من طبقة واحدة تعلو الدكاكين ، فهبط من سيارته وتمر
لسانه على شفتية ليذهب عنهما الجفاف الذى بدأ يحسه . ووقف
برهة يسترد أنفاسه المبهورة ويجمع شتات أمره ثم سار الى البيت
لا يلوى على شئ ولا يلتفت خلفه .

وطرق باب الشقة طرقة خفيفة كانت أخف فى أذنيه من طرقات
مشاعره الصاخبة المدوية ، وبرت لحظات ثم فتح الباب عنها ..
كانت ترتدى ثوبا منزليا بسيطا وشعرها مسترسل على كتفها ،
ولما رأتة تألقت عيناها ببريق خاطف وانفجرت شفتاها من بسمة
عذبة وقالت :

— أهلا وسهلا .. تفضل .

وشادته الى غرفة الاستقبال ، وكان اثاثها بسيطا ولكنها كانت
منسقة تنسيقا جميلا يتم عن حسن ذوقها ، وجلس وتحركت لتبدل
ثوبها وهو تقول :

— لحظة واحدة من فضلك .

فقال وهو يزحف حتى حافة المقعد :

— أعرفت أنني جئت في وقت غير مناسب ، ولكن عذري أنني
لم استطع الصبر على ما أريد أن أفعل به اليك .

وأشار الى مقعد أمامه وقال :

— اجلسي أرجوك ، ولن تستغرق زيارتي الا دقائق قليلة .

وقرأت في عينيه التوسل فجلست صامتة ، ونظر طويلا الى
الهالين السودين اللذين يحدان عينيها من أسفل ثم قال :

— لم أفكر في شيء منذ افترقنا حتى الآن الا فيك .

وأحس أنها جفلت وان جاهدت لتخفي انفعالها ، فقال في
هدوء وان تهديج صوته :

— أرجو أن تستمحي لي أن أعبر عن نفسي في صدق وبساطة ،
أنني لم ألق طعم النوم البارحة ، أمضيت ليلي أفكر في كل كلمة
خرجت من بين شفثيك وأحلل عواطفى فاهتديت الى أنني قد وجدت
ضالتي ، لقد كنت عازما عن الزواج أما بعد أن قابلتك فاني أشتيه
وأرجو أن تقبليني زوجا .

وسرت في جسمها قشعريرة وقالت في صوت مضطرب :

— ان مأساتي قد مست مكامن العطف منك ، أنك تعطف
على

فقال في حماسة :

— أبدا ، أنني قد أحببتك . أحببتك حبا صادقا ، وأنه لما
يشرفني أن تكوني لي زوجة .

فقالت في دهش :

— اتمرض الزواج على سيدة لا تعرف حتى اسمها ؟ !

فقال وهو يدنو منها :

— وما يهمني من اسمها اذا كانت روجي عشقت روجها ؟ اذا
بكت قد أحسست أنني لها وانها لي ؟ أنا واثق أننا سنسعد بها .
لا تستسلمي لياسك ، حاولي أن تعاودي بنا عش جديد وأن تملئي به
حبا وسعادة . أنت زاهرة بأجل ما في الوجود من مشاعر . .
اسعدي بها . . حرام عليك أن تحطمي هناك وهنائي .

فقالت له في انفعال :

— آسفة ان كنت لم أقدم لك نفسي بالأمس ، أنا جاكين توفيق :
أنا مسيحية وأنت مسلم .

— حتى هذا لا يحول بيننا ، أنت مؤمنة بالله وأنا مؤمن بالله ،
الا يكفي هذا ؟ أجل يكفي أننا مؤمنان وأن روحينا قد ائتلفنا . أقسم
لك بحبي أن روجي لم تنجذب أبدا الى روح كما أنجذبت اليك .
أقبل ما عرضته عليك أرجوك من أجل ومن أجلك .

فقالت وقد أطرقت وأسبلت جفنيها على عينيها :

— آسفة لن أتزوج أبدا ، سأظل ما حييت أرملة من فلسطين .

فقال في انفعال :

— أن كل ما مر بك وهم من الأوهام ، أضغاث أحلام . . أما
الحقيقة فهي أنني لك وأنت لي ، لقد وجدنا نفسي فلماذا نضيعهما .

ورأى الدموع تنهمر على خديها فعقد لسانه . . لم يكن يدرى
أهي دموع الفرح ؟ أهي دموع الأسى ؟ أخرج شعورها لما قال لها
أن كل ما مر بها وهم من الأوهام ؟ وجعل يرمقها في قلق غالفها
تمهد له يدها وتقول :

— ان كنت تبغى صداقتى فعندى الا تعود ابدا الى هذا الموضوع .

وظل ينظر الى اليد الممدودة اليه وهو حائر . . أيرفضها ؟
أيقبل شرطها الجائر ثمنا لصداقتها ؟ انه أصبح لا يستطيع العيش
بدونها . . يكتيه أن يكون بالقرب منها ، والفى يده تمتد الى
يدها وتصافحها ، ولم تكتف بذلك بل قالت :

— قل أقسم بالاله الذى أومن به الا اعود ابدا الى هذا الموضوع .

فقال فى صوت خافت زاهر بالأسى :

— أقسم بالله العظيم الا اعود ابدا الى هذا الموضوع .

وأطلق سناهما ثم نهض مستأذنا ، فمالت له وهى تودعه :

— تفضل فى أى وقت ، بيتى مفتوح لك .

وهبط الى الشارع ولم يتجه الى سيارته ، فقد راح يضرب فى
الطرقات على غير هدى وهو ساخط على نفسه لأنه قبل أن يقسم
ذلك القسم الغليظ بعد أن وجد من عشقتها روحه وخفق بحبها
قلبه ، ولم ينفقش غضبه الا بعد أن راح يؤكد لنفسه بأنه سيحنث
فى قسمه لو قبلته يوما زوجا لها ، وهو يأمل كثيرا فيما ستجرى
به المقادير ، فلم يكن لقاؤهما عبثا . . وانها لقسوة أن يكتب عليه
أن تصبح ليلة عرسه مأتم حبه .

كشكء الموسىقى

رحت اضرب فى الطريق الهادى وحدى وأنا أحتى بالجدران
من لسع الشمس . كان اليوم من أيام يونية القائظة ، وكنت فى
طريقى لأول مرة الى منزل صديقى حمى الذى دعانى للغداء
عنده ، وهو صديق تعرفت به أخيراً ولكن سرعان ما توطدت بيننا
أواصر الصداقة .

ووصلت الى الفيلا الأنيقة القابعة فى نهاية الطريق وقد أولت
ظهرها صحراء مصر الجديدة ، فوقفت أجف عرقى وأصلح
هندامى ، ثم مددت يدى وضفطت على الجرس ، فما هى الا لحظات
حتى أقبل لخدم نوبى فى ثياب بيض ، وقادنى الى غرفة نسقت
نفسى بديما وقد زينت بأوحاش جبيلة ، فقصت فى مقعد وثير
وبدأت عيناى تجولان فى الغرفة . ولكن بلغ اذننى وقع أقدام
تقترب ، فالتفت صوب الباب فإذا بحمى بقمته الطويلة ووجهة
الأسمر وشعره الأسود اللامع يقبل على ويرحب بى وقد فتح
ذراعيه :

— أهلا .. أهلا ..

وتصافحنا ، وما كدت أجلس حتى لمحت زوجته مقبلة ، وأخذت
المسحاة التى تفصل بيننا تنصر ، وأخذت ملامحها تتضح لى ، فإذا
بقلبى يقفزا فى شدة وإذا بالدماء الحارة تتدفق فى عروقى ، وإذا

بالعرق يتصبب من وجهى فاخرج مندبلى واجففه ثم ادسه فى
سرعة فى جيبى .

ونهضت ومددت يدى لاصانح يدها الممدودة الى وانا مأخوذ ،
ومس اذنى صوت حمدى مسنا غريبا وهو يقول :

— زوجتى فتحة .. صديقى على .

فقلت فى صوت أجش يتحشرج :

— تشرفنا ..

وجلسنا وراح حمدى يتحدث ، ولكنى كنت مشغولا بالمشاعر
التي استيقظت فى أعماقى وباختلاس النظر الى الزوجة ، وتلاقت
عيوننا مرة فأتشرق وجهها بابتسامة ففضضت من بصرى سريعا ..
وقد ازداد وجيب قلبى وريا اضطرابى .

واستبر حمدى فى حديثه وأنا اشاركه بإيماءة من رأسى
أو بسملة أنترعتها من بين شفتى ، وانهضت الزوجة وغادرت الغرفة
فاذا بعينى تلصصان خلفها ، وغابت عنا قليلا ثم غادرت تقول :

— تفضلا ..

فنهضنا وانطلقنا الى المائدة ، وجلست صامتا وكانما أراد
حمدى أن يخرجنى من صمتى فقال :

— قرأت فتحة روايتك الأخيرة التي أهديتها لى ، وقد اختلفنا
فيها ..

ندق قلبى فى عنف وأرهفت جواسى ، وقلت وانا أنظر الى
حمدى :

— وفينم اختلافكما ؟

فقلت فتحة :

— قال حمدى انها قصة حياتك ، وقلت انها قصة من الحياة
ولكنها ليست قصة حياة المؤلف .

فالتفت اليها وقلت متخابثا :

— وما الذى جعلك تقرر اني لست قصة حياة المؤلف ؟ .

فاذا بها تقول فى ثبات دون ان يختلج لها طرف :

— ظهرت الصناعة فى بعض مواقف الحب ، بينا ان المؤلف

الذى يروى قصة حياته يرويها فى بساطة وحرارة وصديق .

فقال حمدي فى ثقة :

— انها قصة حياتك ولا شك ..

فقلت وعيناي تنتقلان من وجه حمدي لتستقرا قليلا على

وجهها :

— انها لست قصة حياتي ، بل هي قصة حياة صديق عشت

معه سنين طويلة ..

وساد الصمت لحظة تبادل فيها الزوجان النظرات ، ثم قالت

فتحية :

— انى عاتبة على قصاصينا ..

فقلت وانا أنظر اليها :

— لماذا ؟

— لان احداثا هامة كثيرة تمر بهم دون ان يسجلوها .

— لعل تلك الاحداث التى نظنيها ذات خطر لست هامة من

وجهة نظرهم ، فالحادثة الهامة عند القصاص هي التى تحرك

وجدانه وتلهمه وان بدت لغيره من الناس تافهة لا تستحق التفتنا .

فالتفت فتحية وهي تبتسم :

— ما قصدت غير هذا ..

فقال حمدي :

— اضربى لنا مثلا .

عمالت الى الخلف وقالت وهى تنظر الى بعينيهما الواسعتين
وقد توهج فيهما بريق :

— كشك الموسيقى فى حديقة الأزبكية . . هل مررت به بعد ان
شق الطريق الجديد الحديقة هل رأيته وقد القى ذليلا ؟ الا تربطك
به ذكريات حبيبة ؟ لماذا لا تسجل ما يبعثه الكشك فى نفسك من
مشاعر واحساسات ؟!

ولدت بسمه خبيثة تولد على طرف فيها ، فاضطربت واشتد
وجيب قلبي وتفنند العرق منى حتى أحسست به يجرى فى ظهري ،
وهمت أن أتكلم ولكنى لم أجد لسانى . وزاد فى ارتباكى نظراتها
الخبثية التى تنضح بها عيناها ، فاطرقت قليلا أستجمع نفسى التى
ذهبت شعاعا ، حتى اذا ما أفرخ روعى قليلا قلت :
— فكرة بدیعة .

فاسترسلت فى حديثها :

— اظن أنك عاصرت « صالة سنانى » وموسيقى الصياد .
— أنى عاصرتها من غير شك ، وأحسب أنك سمعت عن هذه
الحقبة .

ومضحتنى نظراتى التى كنت أصوبها اليها فلم ترتبك بل ظلت
هادئة وقالت فى ثبات :

— بل كنت شابة فى ذلك الزمن، وكنت أداوم على الذهاب الى
حديقة الأزبكية عصر يوم الأحد لأصغى الى موسيقى الصياد . .
وقال خمدى وهو يضحك :

— كل ما أذكره عن كشك الموسيقى اننى قرأت فى الصحف يوما
دعوة لاجتماع الراسبين فى اليكالوريا عند الكشك وكنت من
الراسبين ، فذهبت اليه لاجتمع برفقائى الخائبين .

والتفتت الى فتحية وقالت :

— لماذا لا تكتب للسنيما قصة حياة الصياد ؟ ..

فقلت فى دهش :

— اتظنين ان حياته تصلح لتكون موضوعا سينمائيا ؟

فجالت وهى تنظر الىّ فى استخفاف :

— وهل كانت حياة ميليب سوسة تصلح لتكون موضوعا سينمائيا ، انظر ماذا فعلوا من موسيقاه ، انهم يقدرّون فنانيهم ويتفننون فى ابراز جوانب عظمتهم .

— كان من الميسور على واضع قصة حياة سوسة ان يجد قصة حب تدور حولها القصة اما من يتصدى لكتابة قصة حياة الصياد فسيقاسى الأمرين اذا ما فكر فى قصة الحب التى سينسج حولها روايته ، لأن المرأة المصرية فى عصره لم يكن لها اثر فى المجتمع ..

ورمتنى بنظرة فهمت مرماها فأطرقت وراح العرق ينصبب منى ، وكأنها عز عليها أن تتركنى أتنفس فقالت فى سخرية :

— من يسمعك يحسب أن الصياد وجد فى القرن التاسع عشر ، اننا — أنا وانت وحيدى ممن عاصروه — أو ليست لأحدنا قصة حب يمكن أن تكون الخيط الذى ينسج منه المؤلف قصة حياة الصياد ؟

وخفق قلبى فى شدة ، وانتشر القلق فى جوفى فأطرقت الاتحامى نظراتها التى كانت تزيد فى ارتباكى . وساد الصمت برهة كأنما كان كل منا يستجعب قواه للجولة الثانية ، واذا بصوت حميدى يقطع السكون فيقول :

— على ذكر الحب ، قل لى ما هى دلائل الحب ؟

فقلت وأنا أتصنع الهدوء :

- هي أن نلتبس المعاذير لأخطاء من نحب .
- فقالت فتحية دون أن تضطرب أو يتهدج صوتها :
- بل خير دليل على الحب هو الفرار ممن نحب .
- فأخذت وأحسست جفافا في حلقى ، وخيل اليّ أنني أصبحت كفار في مصيدة فجعلت أتلقت دون سبب وعقد لساني ، ومن حسن حظي قال حمدي منفلا :
- لا ، هذا ليس رأيك في الحب ، هذا رأي جديد .
- فقالت له وهي تبسم :
- أنك تعرف أنني لا أحب الجمود ، وأنني من عشاق التجديد في افكاري ..
- ورأيت أن أشارك في الحديث حتى لا يظن حمدي إلى ما اعتراني من اضطراب ، فقلت له وأنا أتكلف الابتسام :
- وماذا كان رأيها في الحب قبل الساعة ؟
- فقال حمدي وهو يرمقها بطرف عينه :
- كانت ترى أن الهدية هي خير معبر عن الحب ..
- فقالت وهي تضحك :
- ما أيسر الربط بين الرايين ، في فورات الحب الأولى يكون الفرار ممن تحب دليل الحب ، أما إذا هذا الحب واستقر فالهدايا هي مقياس الحب ..
- فقال حمدي في حماسة :
- أنني لا أوافق على هذا أبدا .
- قل الصدق ولا تكنه ، أما كنت تهابني وتحاول أن تفر مني بعد أن تعارفنا قبل أن نتزوج ؟
- فأحسست قلبي يغوص في قدمي والدماء تتدفق حارة في

شرايينى ، واتسعت عيناى ولفنى اضطراب ولم أقو على كتم ما بى ،
فدفعته الكرسى الى الخلف ونهضت فقال لى حمدى :

— كل .. انك لم تأكل شيئا .

فقلت فى صوت منهج :

— شكرنا فقد شبعنا .

وانسحبت بعيدا لأهرب من نظراتها التى كانت تمسح بى ،
وتخز روحى ، ولاجمع شتات نفسى وأتأهب لتلقى لذعاتها التى كانت
تسددها الى كالسهم .

وانتقلنا الى غرفة الاستقبال واسترخيت ، وكانما عز عليها أن
تدعنى أستريح فأدامت النظر الى ثم قالت :

— يخيلى الى أننى رأيتك قبل اليوم .

فماعدلت مذعورا .. اننى اعرمها جريمة ولكنى ما كنت اظنها
تتمادى الى هذا الحد ، ظننت ساعة أن قدمنى زوجها اليها أن
السفن الطويلة التى تقضت منذ كنا جارين صغيرين نلهو ونعبث
قد بدلها ، ماذا بها ما زالت طائشة كعهدى بها فقلت :

— لا أظن أننا تقابلنا قبل اليوم .

وهمت بالكلام ، وتلاقت عيوننا فقرات فى عيني توسلاتى
اليها أن تكف عن ذلك العبث فلم تأبه بى ، بل استمرت فى وخزى
وقالت :

— لعلنى رأيت صورتك فى كتاب من كتبك .

فقال حمدى :

— أنه لم ينشر صورته فى أى من كتبه ..

ورأيت أن خير ما أفعله ألا أترك لها فرصة للحديث ، فعزمت
على أن اثثر وإن استمر فى الثثرة ، ثم استأذن فى الانصراف

قبل أن ترمينى بأسئلتها الخبيثة التى تشيع الاضطراب فى اوصالى
فقلت :

— لست من المؤمنين بنشر صور المؤلفين ، فالقراء يرسمون
للمؤلف فى أخیلتهم صورة ما فاذا ما رأوا صورته صدمتهم
الحقیقة ، اننى اذكر اننى كنت فى إحدى المكتبات يوما وقت أن جاء
أحد أصحاب المكتبات العراقيين يشتري بعض كتبى . كان يطلب
بعض مئات من كل كتاب ، وظن عامل المكتبة أنه اذا قام بتقديمى
الى الرجل فإنه يسدى الى خدمة ، فقال للرجل وكان يرتدى جبة
خضراء وعمامته خضراء تزين وجهه لحية سوداء مستديرة :

— حضرته مؤلف هذه الكتب .

فالتفت الرجل الىّ ثم قال فى انكار :

— أبدا ، ان مؤلف هذه الكتب رجل مسنن ذو لحية بيضاء .

واصر عامل المكتبة على اننى المؤلف . . وبانت فى ملامح
الرجل خيبة الأمل . ثم ظهر الأثر العملى لكشفه شخصيتى فهبط
العدد الذى كان يطلبه من كتبى الى رقم لا يتجاوز أصابع اليد
الواحدة عددا .

ثم التفت اليها مضطربا فاذا بها تتحفظ للكلام فتعاصرت الى
نفسى وأبكشمت ، وقبل أن تتحرك شفتاها نهض حمدي وانصرف
من الغرفة وتركنا منفردين ، فقالت فى هدوء :

— ما الذى جاء بك اليوم ؟

— دعائى حمدي للفداء .

— اكنت تعرف أنك ستلقانى . . ؟

— لم يدر بخلدى . .

فقالت هازئة :

— أنا واثقة من ذلك ، فلو كنت تعرفت ما جئت .
 — لماذا ؟
 — لأنك ما زلت تخشائي . . تفضل الفرار منى على مواجهتى .
 فقلت فى ارتباك :
 — أبدا . .
 فقالت فى دهش :
 — ماذا دهاك ؟ أين لسانك الذرب الذى كان يطلق السباب
 كالغذاء ؟
 فقلت فى تخاذل :
 — أدركه الهرم . . أصبح يتمثر .
 ولحت حمدي مقبلا فنهضت مستأذنا فى الانصراف ، وصانحته
 ثم مددت يدي إليها فأحسست يدها تضغط على يدي ، وخيل إلى
 أن عينيها تصيحان بى فى هزة :
 « ما زلت تخشائي . . ستفر منى كما كنت تفر » .
 فأرتبكت وغضضت من بصرى ، وإذا بصوتها يمس أذنى
 هادئا وإن أوجت ذبذباته بالسخرية :
 — نرجو أن تشرفنا بزيارتك .
 فتميمت :
 — متشكر . . متشكر .
 ثم انصرفنا وأنا مضطرب النفس مأخوذاً ، ترن فى أذنى
 لذعائهما : وتتخيل لعينى بسنناتها ، فترتفع حرارتى ويرو
 اضطرابى .
 وبلغت دارى وتمددت فى مقعد طويل ، فإذا بخيال فتحية
 يحتل رأسى ، وإذا بصوتها يرن فى أغوارى « كشك الموسيقى . .

صالَة سائتي .. موسيقى الصياد .. خير دليل على الحب هو
الفرار من تحب .. انك تفضل الفرار منى على مواجهتى » .
وطفت الذكريات على سطح ذهنى وتهكت أسجاف الماضى ،
فاذا بى أرى فتحة بقاتمتها المتناسقة وقد ثبتت — كعادتها — قاعدة
حقبة كتبها على طرف عجيزتها وأسندتها بذراعها ، تنطلق رشقة
كالغزال فى الطريق الموصل الى دارينا ، فقد كانت دارها على مرمى
حجر من دارنا .

ورابت نفسى أسير على بعد خطوات منها اختلس النظر الى
بديع تكوينها ، كانت فى السادسة عشرة ، معتدلة القامة سوداء
الشعر والمينين خمرية اللون ، تمتاز بأثوة طافية . وكنت فى
السابعة عشرة تتأجج فى صدرى ثورة عارمة يكبح جماحها ذلك
الخجل الذى كان يستبد بى ويعتد لسانى اذا ما تلاقت عيناي بعينى
فتاة ! .

وجدت نفسى امام فتحة وجها لوجه أكثر من مرة ، قابلتها
وهى خارجة من مدرستها الفرنسية فتظاهرت بالارتباك لسيورها
وسط فتيات صغيرات ، ثم ابتسمت لى ولكنى لم أجرؤ على أن
أبادلها الابتسام وان كنت فى قرارة نفسى أشتهى ذلك والثناء .
ونلاقينا مرة فوق سطح دارنا ، فجعلت تغدو وتروح أمامى فى
ثوب منزلى بسيط يبرز مفاتيها ، فثارت مشاعرى وراودتنى فكرة
تحيتها والتقدم اليها لأنعم بحديثها ، ولكن خجلى أورتنى ضعفا
فراح قلبى يدق فى عنف وسرى فى بدنى اضطراب . وكأنها أرادت
أن تشد أزرى عبادتنى بالتحية ، فأومأت لها برأسى وماتت على
شفقتى الكلمات .

واللقبنا ذات ليلة مصادفة فى الطريق الهادئ الموصل الى

دارينا ، كنت عائدا من السينما وكانت تسير على بعد خطوات منى ، والتفتت خلفها فلمحتنى مخففت فى خطواتها لالحق بها واحيها واجاذبها الحديث ، فما كان فى الطريق غيرنا ، ولكن شجاعتى خائنتى وانتشرت الرهبة فى جوفى وخفق قلبى وسرى فى بدنى الاضطراب ، فضيقت خطاى حتى دلفت الى دارها ، وزحفت الى دارى وأنا حائق على نفسى ضائق بذلك الضعف الذى يستبد بى كلها هبمت بمحادثة فتاة !

وصاقت فتحية بخجل ولم تستطع الصبر حتى ثحل عقدة لسائى ، وما كانت تستطيع أن تعيش بلا صديق فتوطدت بينها وبين فريد أحد رفاةى وأصر الصداقة .. صارا يخرجان معا اذا أقبل المساء يجولان فى الطرقات التى تعجز المصاييح الخائفة من تبديد ظلالها ، او يذهبان الى السينما ، وقد رأيته أكثر من مرة يتأبط ذراعها فكان قلبى يدوى فى عنف بين ضلوعى ، وأمر منسلا خشية أن يلحاننى ! ..

ورابتها ذات يوم تدخل بيت صديقى فى وضوح النهار ، فأحسست غصة فى حلقى وحرارة فى فمى ، ثم لويت شفتى فى اسمزاز ! ..

والثقبنا بعدها وجها لوجه فلم اضطرب ولم يخفق فؤادى ولم تتدفق الدماء حارة فى عروقى ، ولأول مرة حلت عقدة لسائى فركبتها بسخريقتى حتى وسعت خطواتها فرارا منى ، وخيل الى اننى لم أعد أهلبها بعد أن تقوض الصرح المقدس الذى أقمته لها فى خيالى .

رسمت فريد فهجرتة ، وسرعان ما صادفت فهدى بعد أن تركت فريد يتلظى بنار البعاد ، وكانت ترقبه وهو يذرع الطريق جيئة

وذهابا تحت شباكها وهو محطم القلب فكانت تشتمخ برأسها في
استعلاء ، أرضى غرورها أن تجد شابا مطرودا من نعيمها يتهافت
عليها تهافت الفراش في النار !!

وصعدت يوما الى سطح دارها ، وما هي الا دقائق حتى لمحتها
صاعدة فلم تسرع في بدني تلك الرعدة التي كانت تسرى فيه كلما
رايتها ، وكانت في يدي وزدة حمراء مشتمتها ووضعتها على سور
السطح ، واقتربت مني وحيثني فرددت عليها تحيتها. وأنا اظاهر
بعدم الاكتراث ، ولحت في صدرها دبوسا على شكل حرف (ف)
نقلت لها في سخرية :

— أيرمز هذا الدبوس الى فريد أو الى فهمي ؟

فراحت تسير أمامي وهي تتمايل في دلال ، فبدأت الدماء
الحارة تتدفق في عروقي واثارت في نفسي رغبات ، ولكنني أخذت
في كبح حماها وقلت :

— يخيّل اليّ أنك تختارين أصدقاءك ممن تبدأ أسماؤهم بحرف
(ف) .

فناقت وهي تسير في خطوات أقرب الى الرقص :

— وماذا في ذلك ؟

— لا شيء .. كل ما في الأمر أنني أحمد الله أن اسمي لا يبدأ
بهذا الحرف ! ..

وبالغت في تمايلها فراح كل ما فيها يرقص ، نقلت لها وأنا
أحاول أن أبدا هادئا :

— قد يدير هذا الدلال رأس فريد أو رأس فهمي .

وفي الحق بدأ رأسي يدور ، ولو طأعت نفسي لضمتها الى
صدرى .. ولكنني كنت أصارع مشاعري المتفجرة في أعماقي ،

ومدت يدها وأخذت الوردة وراحت تقطف بعض أوراقها فقلت لها :

— وماذا تفعلين ؟

— أهدبها ، وأرجو أن أوفق في تهذيب صاحبها .

فقلت لها وأنا: أبتسم في استخفاف :

— هيهات ..

وقدمت الى الوردة فأخذتها منها ، وكنت أضعف واستشعرت

أن مقاومتي كادت تنهار ، فغذفت بالوردة من السطح ثم ولت

الفرار ..

وخرجت مع غمهي في الليل والنهار ، وانطلقا معا يجوبان

الطرق الهادئة وقد تشابكت الأيدي وهبست الشفاه وتحدثت

العيون .. ومرت الأيام ودب السأم في نفستها فطردت غمهي من

جنتها وراحت تنقب عن عابد جديد ..

وفي يوم وقفة عيد الأضحى صعدت الى سطح دارها ، فألقيتها .
تلف ذراعها حول رقبة خروفا العيد فقلت لها :

— لا بد أن اسمه يبدأ بحرف « ف » .. ففني مثلاً .

فقالته وهي تنظر الى بعينها السوداءوين النجلاوين :

— ولماذا ؟

— لأنه صديقك الجديد .

فابتسمت وقالت :

— أنفاز منه ؟

نقلت في قسوة :

— ليس بيئي وبينك ما يدعو الى الغيرة ، ولكنني أعجب .

— تعجب من ماذا ؟

— من استبدالك خروفا بخروفاً ، وإن أخيرهم لخيرهم جميعاً .

فلم تغضب ، بل ابتسمت وقالت :

— ولماذا ؟

— لأنه ليس له عقل ليفطن الى أنك تدللينه ثم تذهبينه .

نلاح الغرورنى عينها وقالت :

— اننى لا افعل ذلك الا مع الخراف .

وراحت الشمس تغيب فى الأفق البعيد ، فسارت صوب السلم

لتهبط فيه ثم التفتت الى وقالت :

— كل سنة وانت بخير ..

— وانت بخير .. والسنة اللى جايه تضحين بأربعة خرافة !

وانقضى العيد ، وفى ذات ليلة سرت تحت شباكها دون أن

المحها واذا بصوتها يمس اذننى :

— أتهر هكذا دون أن تلقى تحية ؟ ..

موتفت ورفعت رأسى اليها فرأيت على ضوء المصباح الخافت

بسمه رقيقة تولد على شفيتها فقلت :

— مساء الخير .

— مساء النور .. غدا فى العاشرة صباحا ستأنتظرك عند كشك

الموسيقى بحديقة الأزبكية .

انطلقت فى طريقى وقد أخذ قلبى يخفق بين ضلوعى وأرهفت

حواسى ، وهب شيطائى يزين لى الذهاب للقيها والنعيم بقربها

ولیکن بعد ذلك ما يكون ..

ودخلت فراشى وأنا قلق أرق يتنازعنى وجدائى واصنخت

سمعى لصوت عقلى فأراح يقول لى : انها ستذيقك طعم السعادة

أياماً ثم تلفلك لمظة النواة وتتركك حليف الضنى والستهاد وهى

تنظر إليك متلذذة سعيدة بلوعاتك منتشية لاتتصارها عليك ، فلماذا

تتقاد إليها لحظات هنية يعتبها حشرات طويلة وهم مقيم ، فاشتر
الكثير القليل .

وبت تلك الليلة وأنا ألتقلب في فراشي كأنها ألتقلب على جمر
وان كنت قد عذمت في أعماقي على الفرار منها لأتجو بنفسى .
وأشترت شمس اليوم الموعود فإذا بشيطاني يستيقظ
ويوسوس في صدري ويغريني بالذهاب ، غاليوم لنا وغدا ، يتكفل
بنفسه . وخشيت أن ينتصر على شيطاني فصحت فيه : لن أسير
يقدمي إلى حظيرة الخراف أبدا .

وهبت حواسي تشد أزر شيطاني فإذا بمشاعر رقيقة حالمة
تنبثق في أغواري ، وخفت أن تنكد مقاومتي وأن يقودني ضعفي
إلى حتفى بظلفي فهرعت إلى أبي الودبه ، قلت له :

— فى سينما تريومف رواية رائعة واليوم آخر أيامها ، أرى
أن نذهب لمشاهدتها فى عرض الساعة العاشرة .

وما زلت به حتى وافق فأفرخ روعى ، فلن يقو شيطاني على
أن يقودني إليها بعد أن ارتبطت مع أبى بميعاد !

وفى عصر ذلك اليوم أحسست رغبة فى الانطلاق إلى حديقة
الأزليكية ، فذهبت إلى هناك واتجهت إلى كشك الموسيقى ورحت
أصغى إلى موسيقى الصياد وفى القلب فرحة ، فقد أسعدنى أننى
أغدو وأروح ظليقا وأننى لم أسلم لها زمام أمرى لتقودنى إلى الذل
والهوان ..

وهمس فى أغواري هامس : ان مجيئك إلى هنا دليل على أنك
أسيرها . . لماذا جئت إلى كشك الموسيقى وما كنت تذهب إليه من
قبل ؟ لقد استجبت لوجيها ، فإذا كنت قد هربت منها فى الصباح

فقد جئت في المساء . وضقت بذلك الهامس فمأخذت أحاول
اسكاته ، وطفقت أسمع الأتبع نفسي أنني نشوان .

وتحاشيت مقابلتها فلم أعد أصعد إلى سطح دارها ، وصرت
أمر من طريق آخر غير ذلك الطريق الذي تطل عليه نافذتها
المفضلة . وكنت أرى من شرفتي فريد وفتى وهما يحومان حول
دارها ذليلين حطمهما الهوى ، فكنت أحمد الله أنني لم أذهبن
لشيطاني وارتبى في أحضان تلك الفتنة العابثة العاتبة !

والتقينا مصادفة وجها لوجه ، فسرت رعدة في أوصالي وراح
قلبي يدق في رعونة ، واستشعرت جفافا في حلقى واضطربت
أنفاسي واتسععت عياني . . . وحيثي بإيماء من رأسها وأشرق
وجهها بالإبتسام ، وانطلقتنا جنباً إلى جنب . لم تعاتبني لأنني لم
أذهب إلى كشك الموسيقى في الميعاد ، ولم تشر إلى ذلك الموضوع
من قريب أو بعيد كأنها لم يحدث مني شيء ، فانظم نفسي ورد إلى
طبعي ، وظللنا في سيرنا حتى دنونا من دارها فقالت لي :
— أنني ذاهبة الليلة لسماع أم كلثوم في صالة سائتي .

ومطنت إلى أنها تواعدتني على اللقاء هناك ولكنني لم أتبس
بكلمة . ودلفت إلى دارها بعد أن حيثني ، وانطلقت إلى داري وأنا
هاديء النفس لم يستيقظ شيطاني ، وظلت مشاعري في سبات ولم
يصبح صدري مسرحاً لصراع رغباتي المتضاربة ، فما كنت في
ذلك الوقت أجروء على المغيب عن الدار بعد التاسعة مساءً ! . .

وفي عصر اليوم التالي هربت إلى حديقة الأزبكية وصعدت
إلى صالة سائتي وجعلت أتجول في جنباتها ، وتقتضت أيام
واستشعرت حفيظاً إليها ، واستبدت بي رغبة مقابلتها فبهمت
بالذهاب إلى سطح دارها ، وانتهر شيطاني فرصة استغامة كبريائي

فراح يحرضنى على البوح لها بحبى . وكدت أركن الى وسوساته
واذا بهتاومتى نهب من رقادها تصرخ بى ان اضع حدا لضغنى
وان اتضى على ذلك العبث لأنتشل نفسى من البوار . .

وفكرت وامعنت الفكر ودبرت كل شىء ، حتى اذا ما خيم الظلام
خرجت أنقب عن فتاة كنت أعرفها ، فلما قابلتها سرت معها وانا
اقودها لأنفذ ما دبرت .

ووصلنا الى الطريق الهادى الذى تطل عليه نافذتها
فاستشعرت رهبة وكدت أدور على عقبى وأعود من حيث جئت ،
ولكنى أخذت أتقدم حتى وقفنا تحت المصباح القريب منها . ولحنتها
تنظر اليها فاضطربت ولكننى لم أحجم عن انفاذ ما حزمت عليه
أمرى ، فضهمت الفتاة الى وقبلتها . . فاعلقت فتحية شبكها فى
عنق ، فأتلح صدرى وأحسست احساس الناجى من الفرق بعد
ان حسبت ان كل ما بينى وبينها قد انتهى . .

ولكن تصرمت الايام ولم تخمد ثورة روحى ، بل كانت تزداد
تأججا وضرا . . وطفى وجدى واستبد بى شوق فوطدت العزم
على الذهاب اليها أبثها حبى ، وأروى ذلك الظم الذى احسه فى
اغوار مناعرى . . فلماذا أحكم على نفسى بالموت عطشا والى
مبدول لى ؟؟

وأرتديت ثيابى وبالغت فى تأنقى ، ثم هرعت الى دارها خافى
القلب . وقبل ان أصعد الى السطح علمت انهم رحلوا وغادروا
الحى ، فانصرفت منقبص النفس كسوى الفؤاد . .

رحلت أنقب عنها فى كل مكان . . كنت اذهب الى خديقة
الآزبكية فى الغدو والأصال لعلى القاهها ولكن هيهات ، وكنت كلما
ذهبت الى السنينما أدور بعينى فى أرجائها أبحث عنها هنا وهناك

دون جدوى ، فذهب اليأس فى قلبى وحدثت على نفسى وتمنيت
لو أننى أطعمت شيطانى ورويت ظمأ روحى واسترحمت مما أنا فيه
من عذاب ، فالتار التى تتلظى فى أحشائى أشد قسوة من نار الهجر
بعد الوصال .

ووطنت النفس على أن أعب من كأسها إذا قابلتها ولن أحفل
بما يكون — فقد كان كل همى أن أسكت حواسى التى كانت تؤرقنى
وتخزنى وخزا ما أقساه ..

وتقصت السنون ، وقد غابت عنى كما تغيب القطرة فى المحيط
.. ولم تجعنا الا صدفة اليوم . كنت أحسب أن عاطفتى نحوها
قد ماتت فإذا بلقائنا يؤكد لى أن النار الخابية تحت الرماد سرعان
ما تتأرجح اذا نفخ فيها نافخ أو حركها عود .

وخطر لى خاطر خفق له قلبى : ترى لو دعنتى بعد تلك السنين
الطويلة التى تفصل بيننا ، أهرع إليها مليبا دعوتها ؟ . وهزمت
راسى لأفيق من الحلم الذى عبث بأوتار فؤادى ، وجعل الدم
الحار يندفق فى عروقى بعد طول ركود .

وأستلقت مبتار النسيان على ذلك الماضى ، ولكن ما إن مرت
ثلاثة أيام على لقائى بها فى بيت زوجها حتى دق التليفون فى
مكتبى ، وإذا بصوت رقيق يمس أذننى .. فاضطربت وانبهرت
أنفاسى وتصبب العرق منى .. كانت فتحية تخبرنى أنها ذاهبة
وحدها فى المساء الى سينما كريستال ، فلما سألتها عن حمدى
أجابتنى أنه غائب الليلة فقد سافر الى الاسكندرية .

ووضعت سماعة التليفون وأنا خافق القلب ، وراحت الأفكار
تنثال على راسى .. واستيقظ شيطانى يصرخ بى أن الفرصة التى
عشت أرتبها سنين طويلة قد سطحت فعلى ألا أدعها تنساب من بين

أصابى ، وأن أروى عطشى وأشبع جوعى وأطفئ تلك النار
المتأججة فى أحشائى ، فاستقر رأى على أن أذهب للقيها ..

وبدأت الشمس فى الغروب فانتابنى ثلق ولغتنى حيرة ،
وارهفت حواسى ودق قلبى وجعلت أزغر فى صوت مسموع ،
وانبثقت فى جوفى مشاعر متباينة متصارعة ، فانتابنت الى زوجتى
لانتشل روحى من تلك الدوامة التى أدور فيها وقلت لها .
— اننا ذاهبان الليلة الى سينما متروبول .

وخرجت أنا وزوجى وسرنا فى الشارع الجديد الذى شق فى
حديقة الأزيكية ، فلما وقع بصرى على كشك الموسيقى الملقى على
جانب الطريق فى اهمال كامرأة عجوز ، أحسست غصة فى حلقى
ودمعة تترقرق فى مقلتى .. وانطلقت صامتا أمضغ حزنى وحدى
.. حتى اذا بلغنا شارع فؤاد وقفت زوجى تنظّر فى واجهات
المحال .. ووقع بصرى على امرأة قريبة منى غادمت النظر الى
وجهى ، فلما لمحت تلك الشعرات البيض التى نبتت فى رأسى
استشعرت أسى ، وتيقنت أننى أصبحت أعيش على هامش الحياة
ككشك الموسيقى القابع الآن فى ذلة على جانب الطريق .. بعد أن
كان ينبض بالقوة وبيعث فى النفوس الآمال ..

الجموع

— شريفة .. اليس عندك ما أكله ؟ انى أموت من الجوع .

ودوى الصوت فى جنبات الججرة — وان كان قد خرج من بين شفتى الأم المعجوز التى جدل الشعر الأبيض رأسها وكسا الهزال عظمها — خافتا واهنا ، والتفتت شريفة بعينين زائغتين الى حيث كانت امها وصراخ بطنها يطفى على جلبه السيارات وجلجلة الترام وضوضاء العربات المنطلقة فى شارع الفجالة ، والتى كانت عجلائها ترى من النافذة الوحيدة العالية التى يتسلل الضوء منها . فقد كانت الغرفة ضاربة فى بطن الأرض ينزل اليها بدرجات من حجر اكلته الاقدام الحافية والاحذية البالية ..

ونهضت شريفة فى تراخ .. وكانت على يقين من أن البيت قد خلا من كل ما يؤكل ، فقد بحثت ونقبت بالأمس لما جن الليل عن كسرة خبز ولم تجد شيئا .. ونامت طاوية وقد ضغطت بطنها ببطن امها الخاوية ، بيد أنها راحت تغلف فى يأس فلم تر الا الجنادب تندفع من الثقوب المنتشرة فى كل مكان من الجدار الى التحصيرة المبرقة التى تغطى جزءا من الأرض السوداء ، تجذب

منها اموادا تحملها الى جحورها ، وصفوها من النبل في غدو ورواح ورواح في حركة دائبة .

ولما فت بأرجاء الحجرة . . والتقت عيناها الذابلتان بعيني امها اللتين كان يبيض سوادهما ففصت وسرى بين ضلوعها البارزة من تحت جلدها ياس مرير . . الا انها لم تستسلم له ، بل ذهبت وهي تجر نفسها جرا الى الصنبور وفتحته واخذت تغسل وجهها بالماء القراح ، فقد ذابت آخر قطعة من الصابون عرفت طريقها الى هذا الخندق منذ شهور . منذ أن قطعت كل صلة تربطها بالبقال القريب من مسرح ماساتها .

ومدت يدا نفرت عروقها وتناولت مشطاً لم تبق به الا اسنان قليلة ، ونظرت الى وجهها في بقايا مرآة كانت مثبتة فوق صنبور الماء ، وراح المشط يتخلل شعرها وهي شاردة ، ولحت هلالاً اسود يحف بأسفل عينيها فدفق قلبها فزماً . . انها لم تبلغ الخامسة والعشرين بعد وقد غاض لونها ولاح الجهد في كل اجوف وفي كل بارز من محياها : « ما هذا الاصفرار يا شريفة ؟ شفتاك جفتا وتشققتا . . عيناك خبتا . . أين بريقتها ؟ » . وفرت من امام المرأة كأنها نذر من شبح .

وراحت تخلع ثوبها الممزق في تخاذل ، والفت نظرة سريعة على قميصها فوقعت عيناها على ثقوب انتشرت به . وفكرت في أن تستبدل به آخر ولكنها تذكرت أنها لم تخلع ذلك الآخر الا بعد أن صار كالجلد من العرق الغزير الذي لمتصنة ولم تجد معها ما تشتري به صابوناً لتغسله . فضغطت بيدها على القميص تبسطه ، ثم ذهبت الى حيث تحتفظ بالثوب الوحيد الذي تخرج به وتناولته واخذت تلبسه في حرص .

ورأت الأم ابنتها وهى تسبل ثوب الخروج على الأسنل
 المتصنقة بجسدها ، ففطنت الى ما تعتزم أن تفعله ، فنهضت اليها
 وسارت تجر نفسها وتقول :
 — انى ذاهبة معك يا شريفة ..

وصنعت شريفة ولم تعترض على خروج أمها معها وان كانت
 على يقين من أن ذلك الخروج لا جدوى منه ، بل انه يعوق حركتها
 وقد بضيع الفرص القليلة التى تلوح لها . كانت تفهم ما يدور برأس
 العجوز .. انها فى لهفة على أن تطمئن الى أن شيئاً ما وشيك
 الدخول الى جوفها ليكتم أنفاس ذلك الغول الذى ينهش حشاياها .
 ومخرجنا الى بئر السلم ولم تحسا رطوبة المكان ، ولم تزكم
 انفههما الرائحة العفنة التى تفوح منه ، ولم تنكرا الظلام الذى
 تراكم بعضه فوق بعض وان كان النهار قد انتصف . فالظلام الذى
 ران على روجيهما اثقل من أى ظلام ملأ عيون البشر .

وراحتا ترقبان السلم فى هوداة وان كاتتا تترنحان من الوهن
 خشية أن تزل القدم ، وخرجتا الى الطريق مبهر الضوء عيني
 شريفة ، بينما لم تستشعر الأم شيئاً لقد أسبلت جفניה على عينيها
 اللتين كاد سوادهما أن يذهب ، بعد أن علفت ذراعها فى ذراع
 ابنتها وتركتها تقودها الى حيث اعتادت أن تقفا فى مثل هذه
 الساعة من النهار .

وولتا وجهيهما شطر ميدان المحطة ، وما ستارتا خطوات حتى
 كاتتا امام دكان العم سطيحان البقال فالتفت شريفة نفسها عاجزة عن
 أن تكبح جماح عينيها من أن تلتفت اليه . كانت فى قرارة نفسها
 تمقت أن ترى سحنته البغيضة التى زاد فى الغفور منها ذلك الأنف
 الضخم ، والعينان الضيقتان اللتان تشعان خبثاً ، وتلك الصدر

الصغيرة المنتشرة في وجهه التي تركها الجدى خلفه ، بيد أن شيئاً ما في أعماقها يرغبها على أن تلوى عنقها نحوه .

رائته بكرشه البارزة وجلبابه الذي يغطي الزيت صدره ، وشاربه الذي تركه يملاً وجهه دون أن يخطر على باله أن يهذه مرة ، وجاهدت حتى أشاحت بوجهها عنه ووسعت من خطوها وراحت تجر أمها التي أسلمت لها قيادها ، ولم تلتفت ناحية دكان العم سليمان وتبصق كما اعتادت أن تفعل كلما مرت به ، فقد أبات الجوع كل رغبة وقضى على كل شهوة من شهوات الجسد الأشهوة طلب القوت الذي يمسك الرمق .

ووصلتا إلى دكان السمك فإذا بهما تتمهلان في سيرهما ، ونفذت رائحة السمك إلى خياشيمهما فسال لعابها .. وهررت الأم لسانها على شفتيها الجافتين ومدت عينيها إلى حيث تشتهي ، فأحست بكائها كله يهفو إلى تلك القطع التي تكدست أمام السمك والتي تركزت فيها كل شهواتها وآمالها .

وأحست شريفة ما أحست به أمها ، وشعرت كأن يدا قوية لا قلب لها تعصر أمعاءها اعتصاراً ، وبللت الدموع مقلتيها وراحت تبلع ريقها لتريح تلك الشوكة التي خيل اليها أنها واقفة في حلقها ، ثم جذبت أمها في رفق وهي تقول في صوت خافت مضطرب :

... سنشتري سمكاً عند عودتنا .

واستأنفتا سيرهما . « وأين النقود يا شريفة ؟ ! انك خرجت بالأمس كما تخرجين اليوم وكنت تأملين أن تعودى وفي يدك ما يكفيكما أيها وقد عدت بلا شيء .. كنت بالأمس سيئة الحظ .. أما اليوم فسأعود بما اشتري به السمك . لن يتخلى الحظ مرتين .

السك ! رائحته أروع من أزكى عطر . طعمه أشهى .. أنذكرين طعمه يا شريفة ؟ ! رائحة العم سليمان ننتة ، طعمة .. » وتقلصت عضلات وجهها وأحست رغبة فى أن تبصق ولكنها لم تفعل .

ووصلتا الى ميدان المحطة ووقفتا على الطوار بالقرب من إشارة المرور وراحتا ترتبان السيارات فى اندفاعها وترصدان إشارة المرور ، حتى اذا ما اضاء النور الأحمر ووقفت السيارات القادمة من شارع الجمهورية ابتعدت الأم عن ابنتها وان كانت ترعاهما بعينيها وعيون خوالجها وجوارحها ومشاعرها ، فقد ألفت اللحظة التى يتقرر فيها مصيرهما .

وراحت شريفة تستعرض السيارات فى قلق ولهفة ، ورات شابا جالسا خلف عجلة القيادة انه وحده . « هذا هو بغيتك يا شريفة . سيارة فاخرة . انه غنى . سيدفع جيدا » وأشارت له بيدها ملوحة « انه يبتسم لك يا شريفة .. أسرعى .. أسرعى قبل أن تفتح إشارة المرور » .

واندفعت شريفة صوب السيارة وأمها ترتبها واجفة القلب ترجو بكل جوارحها أن توفق ابنتها فى يومها هذا حتى لا تموتا جوما .. شريفة تمرق بين السيارات .. انها تدنو من السيارة الحمراء ، ها هى ذى يدها على مقبض الباب .. ستفتحه .. ستفتحه وتقفز .. وى .. وى .. فتحت الإشارة .. السيارات تتحرك .. السيارة الحمراء سارت .. شريفة ! .. شريفة ! .. شريفة ! .. شريفة ! ..

واخذت شريفة تجاهد لتعود الى الطوار دون أن تدهمها السيارات ، وأمها ترتبها فى خوف شديد وجسدها الواهن يضطرب اضطرابا ، وكادت تند منها صيحات جزع ، بيد أن شريفة استطاعت

أن تنفذ من الأخطار وتعود الى حيث وقفت أمها تنتفض . وما مرت لحظات حتى أخذنا ترصدان إشارة المرور مرة أخرى بعد أن انطلقت السيارة الحمراء في طريقها وغابت عن عيونهما .

وركزت شريفة بصرها على الإشارة الحمراء . وسرعان ما شردت ورأت نفسها في محل الخردوات الذي كانت تعمل به . اتضح المحل لها كأنها تراه رأى العين . . ها هو ذا مكانها خلف المعرض الزجاجي الذي نسقت فيه أنواع الدانتيل ، وها هي زميلاتها الثلاث في أماكنهن ، وها هو ذا محمد أفندي بنظارته السمكة وشعره الأبيض وقلبه الذي لا يفارقة يدونه كل ما يخرج من المحل وكل ما يرد إليه ، وها هو ذا السلم الخشبي الذي يقود الى الغرفة العلوية ، غرفة صادق أفندي صاحب المحل .

وان في أذنيها صوته . . انه يدوي في أذنيها في سكوت الليل وفي جلبة النهار . . في اليقظة وفي المنام :
— شريفة . . تعالى .

وراحت تصعد في السلم الخشبي ودخلت عليه تحس رهبة . بيد أن هذه الرهبة سرعان ما ماتت لما ابتسم لها وقال :
— سرني اجتهدك في عملك يا شريفة ، وقد رايت أن اكافئك . ومد يده وربت على خدها فأحست تيار الخجل يشوي وجهها ، وارتجفت وراحت تتلفت في قلق . ونادى قائلاً :
— محمد أفندي . . تعال .

وصعد محمد أفندي وهو يلهث فقال له :

— ارفع مرتب شريفة خمسين قرشا .

« كان مرتبي ضئيلاً ولكني كنت أجد جنهات في يدي اول كل شهر . كنت أكل بها أنا وأمي وأدفع منها إيجار البيت » .

والتفتت الى أمها فرأتها ترقب اشارة المرور فى ضيق وملل ،
كانت لا تزال خضراء . وعاد صوت صنادق أفندى يرن فى أذنيها
مناديا :

— شريفة ! تعالى .

.. رأت نفسها وهى تصعد فى الدرج الخشبي ، كان الليل يزحف
وكانت الزلايلات مشغولات بطلبات الزبائن . انها هى وهو
وحدهما .. فى عينيهِ بريق يخيفها ، ترى ماذا يريد منها ؟ وحين
رفعت يدها لتهوى بها على وجهه .. كان فى ذلك الجواب على
ما يريد .. انها غير نادمة .. بل راضية عما فعلت ، ورفع يده
وهوى بها على وجهها ، ثم صاح وهو يزمجر :

— محمد أفندى ، تعال .. تعال .. يا ستافله .. يا ساقطة ..
انا رجل متزوج .. انا رجل عيى مليانة .

ودخل محمداً أفندى يتكئا ، وصاح صادق فيه :

— أخرج هذه الساقطة من هنا .. اطردها .. لا مكان لمثل
هذه الساقطة فى دكانى .. أخرجها .. أخرجى ..

ورأت نفسها وهى تسير والدموع تغسل وجهها ، وصوت يرن
فى أعماقها : « الموت أحب الىّ مما يدعونى اليه » .

وأضاء النور الأحمر وأغلق الطريق أمام السيارات القادمة من
شارع الجمهورية ، وأسرعت الأم لتبتعد عن إلفتها وتتركها فى
الميدان وحدها ، وأن كانت معها بكل مشاعرها التى أيقظتها عضات
الجوع القاسية .

وفرت شريفة السيارات بعينيها فرأت بالقرب منها سيارة بها
رجل : تعتد أنه صيدها ، فخفت الية وأمها ترقبها وقد كتمت أنفاسها
رهبة .. شريفة تتقدم .. انها تفتح الباب .. انها تقفز الى داخل

السيارة .. أغلقت الباب خلفها .. لا تزال الاشارة حمراء .. متى
تفتح ؟ ! متى تفتح ؟ !

وقبل أن تزفر الأم في راحة وقعت عينها على الرجل ، انه
متجههم الوجه .. انه غاضب .. ثائر .. الباب يفتح .. شريفة
تهبط من السيارة مطرقة الرأس .. الرجل يقفل الباب خلفها في
منف .. الاشارة تفتح والسيارات تنطلق .. وأحست الأم أن
قلبها يتمزق .

وعادت شريفة تنظر الى النور الأحمر وعابدها شرودها ،
فراحت نفسها ليلة أن رجعت الى أمها بعد أن طردت من عملها .
كانت تقصر عليها قصتها وعبراتها تسيل على خديها .. وضمتها
أمها الى صدرها وقبلتها في حنان وقالت لها : لا تحزنى . فدا
تجدين عملا آخر .. ما أكثر فرص العمل .

وراحت الاصوات ترن في أذنيها مدوية متداخلة :
— آسف .. لسنا في حاجة الى عاملات جدد .

— عم سليمان .. هات رغيين وبقرشين زيتون وبقرشين
حلاوة . سادفع لك بعد أن أعمل .. ساشتغل قريبا .
— لا توجد وظائف خالية .

— عم سليمان هات رغيين وبقرشين حلاوة وصابونة .
— الحساب .. الحساب يا ست شريفة !

— سادفع الحساب كله قريبا ..

— الإيجار .. لا أستطيع أن انتظر أكثر من هذا .. الإيجار
والا سألقى بكما في الشارع ..

— هل سبق لك العمل ؟

— نعم .

- اين شهادة خلو الطرف ؟
 — لم يعد عندنا ما نبيعه يا شريفة ، بعنا كل ما كان عندنا
 يا بنتى .
 — لسنا فى حاجة الى موظفات .
 — لابد من شهادة حسن سير يكتبها لك من كنت تعملين عنده .
 — صادق أفندى .. ارحمنى .. أرجوك ..
 — اغربى عن وجهى .. لن أغش الناس ابدا .. ضميرى يابى ..
 — صادق أفندى .. انا بريئة وانت تعلم ..
 — سافلة .. فاجرة ..
 — شريفة ! انى أموت من الجوع .
 — وماذا افعل يا أمى ؟
 — اذهى الى العم سليمان وهاتى رغيفين .
 — أقسم بالله ثلاثا انه لن يعطينا شيئا الا اذا دفعنا ما علينا ..
 — اذهبى اليه يا بنتى .. انى أموت من الجوع .
 ورات نفسها وهى تخرج مطرقة الرأس الى دكان العم سليمان
 .. كان الابل قد قارب على الانتصاف وكان باب الدكان الصغيرة
 المصنوع من صاج مدرج قد سحب استعدادا لأن يغلق ، وما كان
 احد يستطيع أن يدخل منه الا اذا انحنى .. ووقفت شريفة أمام
 الباب احطأت وهى مترددة بين الاقبال والاحجام ، ثم تقدمت
 مسلوية الارادة وحنت قامتها ودخلت فاذا بها هى والعم سليمان
 وحدهما ولا أحد معهما .
 وقالت فى صوت خافت وهى تتحاشى أن تلتقى عيناها بمينيته :
 — اعطنى رغيفين وقطعة من الجبن .

.. الثمن .. أقسمت ألا أعطي شيئا إلا إذا قبضت ثمنه .
 — ليس معى الآن ما أدفعه .

.. وعادت الى البيت تحمل بين يديها أرغفة كثيرة ولغافات
 بها زيتون وجبن وحلوى وفى قلبها هم ثقيل .. فقد نال العم سليمان
 ما كانت تضمن به على الرجال جميعا لقاء لقيمات تستكت صراخ
 البطون .

وأضىء النور الأحمر ووقفت السيارات القادمة من شارع
 الجمهورية ، وابتعدت الأم عن ابنتها وتقدمت شريفة تجوس خلال
 السيارات وتوجه نظرها الى عيون الرجال الجالسين فيها لعلها
 ترى فى عينى أحدهما نداء ، إلا أن اشارة المرور فتحت قبل أن
 تعثر على من يحملها معه الى حيث يريد ، ثم يضع فى يدها نقودا
 تشتري بها سمكا لامها .

وعادت الى الطوار تنتظر أن يقلل المرور وتقف السيارات
 لتستأنف محاولاتها ، وراحت صور حياتها تطفو على سطح ذهنها
 .. رأت صاحب البيت يصيح بها قائلا :

— ايجار .. لن أستطيع أن أصبر أكثر مما صبرت ..
 رأت نفسها تقترب منه وتلتصق به .. وأنهارت مقاومته ..
 وفى لحظات كان يقول لها :
 — بيتى كله لك .

ودست الايصالات فى صدرها .

وبرت شهو لم يفزعها فيها شبح ايجار الشقة ، وذات يوم جاء
 صاحب البيت وخفت اليه لتستقبله بالقبل كما اعتادت أن تفعل كلما
 جاء ، وإذا به يستقبلها بلطمة قوية اعتبتها بصقة فى وجهها ثم
 زمجر قائلا :

— أريد الإيجار .

عاد الإيجار يثقل كاهلها ويزيد في همومها .

ورأت نفسها تخرج في الليل والنهار وتعود بالطعام لامها وتضع في بدنها كل ما يتبقى معها من نقود . كان راكبو السيارات أيسر صيدا وأمنه ، وقد أغراها ذلك أن تخرج كل يوم في مثل هذا الوقت وتقف عند إشارة المرور تلقى شباكها . كان الأمر سهلا أول الأمر . . حملت الى بيوت كثيرة . . وتناولت أشهى الأطعمة ، وعادت بجنيهاً ، وصمرت خدها للعم سليمان . . أما الآن فقد صار الأمر صعباً ، مرت أيام لم تزل فيها شيئاً ، ذاب فيها ما كان عندها وعاد الجوع يطل بآتيابه البشعة على جحرها ، حتى إن أمها اضحت تخرج معها وتقف بعيداً لتطمئن الى أن شيئاً ما وشيك الدخول الى جوفها !

واغلقت إشارة المرور أمام السيارات القادمة من شارع الجمهورية وابتعدت الأم عن ابنتها في تخاؤل ، كانت تحس أنها يستنهار ، وزاد في وهنها أن الينس بدأ ينتشر بين ضطوعها ، وقر في رأسها أن يومها لن يكون أفضل من أمسها . وانسابت شريفة الى السيارات ، وأخذت تقلب عينيها في راكبيها من غير حماس . لاح في وجهها قنوط واعياء وسريلتها مسكنة تحرك الشفقة أكثر مما تحرك الاشتناء .

وانطلقت السيارات في طريقها ، وقفلت شريفة راجعة الى الطوار وهي تحس غيبوبة تسرى في كيائها ، بيد أن ذهنها ظل يعمل . . رأت نفسها في « جروبي » جالسة تحتسى القهوة عند الغروب . . كانت تجلس الى مائدة وحدها وكان المكان غاصاً

بالناس ، وتقدم شاب على استحياء ونظر الى الكرسي الخالى
امامها وقال :

— اتسمحين ؟

— تفضل .

وجلس .. وتحادثا .. وقبل أن ينصرغا كان صائح قد ضرب
لها موعدا ليتقابلا .. والتقيا وتوجها الى السينما ، وقبل أن
ينصرغا ذهب بها الى محل فاخر لبيع الحلوى واشترى كيلو
شيكولاتة قدمه اليها : « يا مغفل ! شيكولاتة وليس فى بيتنا خبز ؟ !
لو أعطيتنى نصف ما انفقته على اليوم لكنت أسعد الناس » .

ونظرت الى اشارة المرور الخضراء فى شرود ، ثم استبكت
جفنيها على عينيها ومشى فى جسدها وهن شديد ، أحست أنها
ستنهار بيد أن صوت صائح مس أدنيها فى وضوح وإن بدا أنه
قادم من مكان سحيق ، قال :

— شريفة سنسافر غدا الى الاسكندرية .

— امرك .

— سننتقابل فى الساعة صباحا .

هرأت نفسها وهى تتجه معه الى المطار فقد أصر على أن يذهب
اليها بالطائرة .. وعادتهما الأفكار التى راودتها وهى فى الطائرة
الى جواره : « يا مغفل لماذا كل هذا التبذير ؟ أعطنى بعض ما تبخره
فى الهواء أعطك ما تريد وأكثر » .

وتذكرت ما دار بينهما فى ذلك اليوم من حوار فأحست جسدها
كله ينفص وقلبها ينز أسى ، واستشعرت آلاما فى روحها تكاد
تطحن على آلام الجوع الكافر :

— شريفة ! تعلق قلبى بك منذ أول يوم رأتك فيه عيناى . أريد

إن اتوج هذا الحب بالزواج فما رأيك ؟ .. لماذا هذا الصمت ؟ قولى
نعم أو لا .. قولى أى شيء .. أعرف يا شريفة أنك لست غنية
وأعرف أن لك أما ليس لها غيرك . ستكون أمك أُمى .. سيصبح
لها ابن يرعاها ويكرم شيخوختها .. كل ما أريده يا شريفة زوجة
تصون شرفى ؟ ما رأيك ؟

— صالح .. اهفنى أرجوك .

— أتبيكين يا شريفة ؟ أنا لا أفهم شيئاً .. تكلمى . أريحى
قلبى .

— لا أحب أن أكذب عليك يا صالح سأبوح لك بسرى . خطبتنى
زميل من زملائى الذين كانوا يعملون معى فى المحل واتفق مع أُمى
على أن يعقد على ليلة ازفاف ودفع لأمى المهر . كان يمر على فى
الصباح ونذهب مما الى العمل ، وكنا فى الليل نَجول فى المدينة
نحلم بمستقبلنا المشرق الذى ينتظرنا ، وما كنا نعلم أن الزمن يخفى
لنا فى غيبه مأساة ، فقد مرض خطيبى ومات بعد أن نال منى ..
كل شيء .. كل شيء .

وانفتحت بعينين زائفتين تبللها الدموع الى حيث كانت
السيارة مقبلة .. لا أحب أن أكذب عليك يا صالح . كانت حياتك
كأنها يا شريفة كذبة متصلة .. الموت أحب الى مما يدعونى اليه ..
لماذا تأخرت ؟ لماذا تأخرت يا صالح ؟ لو أنك جئت قبل أن يطردنى
ذلك الوغد من دكانه وقبل أن ينهشنى الوحش النتن فى دكانه لما
قاسبت ما قاسيت ، ولكنك جئت بعد الأوان ، بعد أن ضاع ما تبحث
عنه .

رقص صوت صالح فى خيالها كتصيف الرعد :
— عشت منذ عرفتك أحلم بيدي وهى موضوعة فى يد موكلك ،

واصفى الى صوته وهو يقول : زوجتك موكلتى شريفة البكر
 الرشيدة .. لا .. لا أستطيع أن أتصور .. لا أستطيع أبدا ..
 وأغلقت اشارة المرور ووقفت السيارات ، وبقيت شريفة في
 مكانها لا تتحرك . خيل اليها أن النور الأحمر السنة نيران تتراقص
 لتلسع قلبها وتشوى كبدها . وهمس صوت ضميرها في أغوار
 نفسها : « ليتك يا صالح عرفت الحقيقة .. جسدك ولغتك فيه
 الذئاب أما قلبي فلم ينفذ اليه أحد سواك . لم أعرف طعم الحب
 قبل أن ألتقيك ، ملكت كل حواسي ومشاعري وإن لم يلمس لحكمك
 لحمي .. كنت أتمنى أن أجود بروحي في سبيل أن اصون عرضك
 .. كنت مغفلا يوم جئت .. وكنت مغفلا يوم ذهبت بعد أن مزقت
 قلبي وقلبك » ..

أحسست الأرض تميد تحت قدميها ، وراحت من خلال الغشاوة
 التي بدأت تنسدل على عينيها السيارات تتراقص ، وتماسكت
 وراحت تقارم ارادة جسدها أن ينقض ليستريح .

ودنت امها منها متهاكمة متخاذلة وهي تهمس : « كنت لماراكي
 يا رجله شايه بطنى ، اتاريكى يا بطنى اللى شايه رجله » .

وملأت صورة العم سليمان رأس شريفة ، وتذكرت ما قاله
 لها قبل أن تقطع كل صلة بينها وبينه : « أنا فى الخدمة دائما يا ست
 شريفة ، أنا لا أنسى أبدا أصدقائى » .

ولفت الأم ذراعها حول وسط ابنتها ولفت شريفة ذراعها حول
 امها ، وقفلتا عائدتين تجران أرجلهما جرا وتتحاملان على أنفسهما
 حتى لا تقع احدهما على الأخرى من اثر الجوع .

الغيب

كنت وصاحباي نجتمع صباح كل يوم جمعة في الكازينو ، وكان صاحباي من الشباب الذين تستهويهم النظريات الحديثة فكان كل منهما يعكف طوال الأسبوع على قراءة دارون وفرويد وماركس أو على بعض ما كتب عنهم ، حتى إذا ما حان موعد اجتماعنا راح كل منهم يردد ما قرأ في حماس كأنه شريط تسجيل دون أن يحاول أن يفكر فيها قرأ أو يقلب الرأي فيه . وكان كل منهما يحاول أن يسيطر علينا بعلمه وهو في قمة النشوة ، يحسب أن أحدا لم يسبقه لقراءة تلك الفلسفات المادية . وقد كان يخيّل إلى أحيانا أنهما أشبه بشباب يافع قد بلغ الحلم فظن أن أحدا من العالمين لم يستشعر مثل ما استشعر به . كنت أصغى إليهما وما كنت أحب أن أناقشهما أو أجادلهما فما كان ما يرددان من آراء جديدة على ، كنت قد قرأته محايدا وأخذت فيه قرارا وانتهى الأمر .

وجاء الجرسون وطلب صاحباي بيرة وطلبت « اسباتس » فسفرا منى سخرية خفيفة ، فرأيت أن أبلغها حتى لا أعكر جو الجلسة ، ورحنا نخوض في الأدب والأدباء فأتكرا كل الكتاب المصريين والعرب أمعانا في الترفع . وليوهمانى أنهما « اللـتـوبرمان » الذي كان يحلم به نيشته أو أنهما من رجال المدن الفاضلة ..

وقبل أن يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة استأذنت منه ، وما ا.
تضيت الصلاة حتى عدت اليهما فلما رأياني قال أحدهما في
انفعال :

— كيف يؤمن مثقف مثلك بالغيب والغيبيات ؟
وقال الآخر ساخرا :

— والأدهى من ذلك أنه يؤمن بالأحلام .
ورأيت الا أبتلع هذه السخریات فقلت لهما :

— فلنتجادل بالتى هى أحسن . انكما شريتما البسيرة فلم
انهركما ولم أفكر فى أن انهاكما وتركتم لكما حرية الشراب وان
كانت رائحة البيرة تضايقتى ، فلماذا غضبتما لأننى ذهبت للصلاة ؟
من منا أوسع أفقا ؟ لعلكما تجدان فى الشراب نشوة وأنا أجد فى
صلاتى نشوة ، فلماذا تحاولان أن تحجرا على حريتى وان تحرماني
نشوة أسعد بها وينشرح لها صدرى . من منا المزمّت المتحجر ؟
تركتم لكما حرية الخطيئة فلماذا تحاولان أن تدفعاني بعيدا عن
طريق الأمن والسلام .

— اننا نريدك أن تصحو ، أن تفيق من الوهم الذى تعيش فيه .
— آسف ان أقول لكما انكما لا تزيدان عن بيفوات وان اشرطة
التسجيل أنفع منكما وأصدق . انكم تتحمسون لما تقرعون دون
تفكير ، فما تقرعون يسلبكم حرية التفكير بل يجعلكم عبيدا لما
تقرعون . تحدثتما فى الصباح عن النشأة الأولى وعن التطور
والإنشاء وعن الحلقة المفقودة وكلام كثير لا يصمد طويلا الاى تفكير
هادىء سليم . ان الدين لا يفكر التطور : « ما لكم لا ترجون لله
وقارا ، وقد خلقكم أطوارا » ولكن الدين والمنطق السليم ينكران ان
الاصل خلقة حية تطورت حتى صارت بشرا سويا . فلو سلمنا بذلك

التطور: فهل النتيجة النهائية لكل ذلك ذكر أم أنثى ؟ فلو كانت النتيجة ذكرا نلابد من تطور آخر تكون نتيجته أنثى حتى تبدأ الحياة .

وبو حدث مثل ذلك التطور الثنائي لكان أكبر دليل على تدبير عاقل ، وعلى وجود مدبر حكيم . وما دينا قد وصلنا الى المدبر الحكيم فالخلق اقرب الى المنطق والعقل من التطور والى افتراض وجود حاتة مفقودة . وعيب النظريات المادية كلها انها تقوم على افتراضات خاطئة منهارة ، فكيف تكون النتائج سليمة اذا كانت الافتراضات غير سليمة ؟

يا صاحبي الكازينو سمعتمكما كلما خضنا فى موضوع حيرنا قلتما : ايها وجد اولاً البيضة أم الدجاجة ؟ فلننكر فى هدوء قليلا — ان كنا بكد الحقيقة نريد — انى اسالكما : هل اذا باضت دجاجة ليس معها ديك ، هل يمكن أن تفقس مثل هذه الدجاجة ككتوتنا ؟ . — لا ، لا بد ان يكون بالبيضة التى تفقس « كسر » ديك . — اذن لابد من ديك ودجاجة حتى تبيض الدجاجة بيضة صالحة للفقس . — هذا لا شك فيه .

— فلماذا تسالون دائما : « مين اللى اتوجد الاول الفرخه واللا البيضة » ؟ اتعمران لما ترددان ذلك ؟ لانكما اعتدتما أن تثلقيا كل ما يأتينا من الغرب دون تمحيص . لو فكرنا بعقول حرة لاهتدينا الى أن كثيرا مما يأتينا من عندهم ليس له الا البريق .

يا صاحبي الكازينو لابد من دجاجة وديك لتأتى بيضة صالحة للفقس والتفريخ ، فالدجاجة والديك اسبق من البيضة لو كنتم تفكرون .

يا صاحبي الكازينو بقيت النقطة الأخيرة ، النقطة الاخيرة

التي اثارته كل هذا الجدل ، الغيب وإيماني بالغيب . وأقول الحق
انكما مغروران ، فنتائج المعامل المذهلة أدارت رأسكما ، فاسمحا
لى أن أناقشكما الآخر مرة فى هدوء . قولا لى : اذا قرينا سلكا
مسالبا من - لك كهربائى موجب ، فماذا يتولد ؟

— كهرباء .

— ما هى الكهرباء ؟

فصبت صاحبائى فقلت لهما :

— غيب .

وعدت أسأل :

— اذا قرينا مغناطيسا من مسمار فماذا يحدث ؟

— ينجذب المسمار الى المغناطيس .

— فما هى المغناطيسية ؟

ولم بحر صاحبائى جوابا فقلت :

— غيب .

ثم قلت لهما :

— اذا وضعنا حامضا على معدن ما فماذا يحدث ؟

— تفاعل .

— فما هو التفاعل ؟ غيب .

كلما نتصور أن الموجات الصوتية او الضوئية تسبح فى الاثير ،
ثم جاء اينشتين وأثبت أن ليس هناك اثير . لقد كان الاثير غيبا
بالنسبة لنا قبل اينشتين وأصبح فراغا بعد اينشتين . إن الانسان

قد تمت الذرة ، مره تكون نتيجة التفتيت شعاعا ومرة تكون حرارة .
كل ذلك عيب ولا شيء غير الغيب . اللهم الا نتائج وظواهر يفتتها
استخدامنا لها ونحسب من فرط جهلنا وغرورنا أن الغيب قد أسفر
عن وجهه .

ان المعمل لم يثبت الا حقيقة واحدة هي الغيب . وكل حكمة
الحكماء وعلومهم ان هي الا آراء بشرية ناقصة وظنون لا تبلغ من
عالم الغيب الا انه موجود مجهول .

با صاحبي الكازينو كلنا سواء ، المؤمن بالغيب والمؤمن
بالمعمل ليس اماننا الا حقيقة واحدة أن نؤمن بالغيب .
ونظر أحد الصديقين الى ساعته وقال :
— حان وقت الانصراف .

فانصرفنا ورحت أتذكر قول برجسون :

— ان البصيرة بصر باطنى للعقل الذى أغلق من عمد كل ابواب
الحس الخارجى ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ورحت أتذكر أيضا ما ورد فى أسفار اليوباتشاد : « اننا
لا ندرك روح العالم بالتحصيل .. اننا لا نبلغه بالنبوغ والاطلاع
على الكتب .. فليطرح البرهمى العلم وليعد طفلا .. لا يبحث
البرهمى عن كلمات كثيرة ، فما هى الا عفاء يشقى اللسان ، فنفاذ
الراى الى جهر الامر اعلى درجات الفهم .

وراحت ابتهالات البراهمة ترن فى أعماقى :

— إيه يا روح العالم غير المجسدة ، يا جوهر العالم الواحد
الشامل : يايبها المحتوى لكل شيء ، الكامن فى كل شيء . يا من لا

ندركه الحواس ، يا حقيقة الحقيقة ، ياها الروح الذى لم يولد
والذى لا يحق عليه الموت أو الفناء » .
« نظرت حولي أملاً نفسى بروعة الكون ، فإذا بى أشعر بفرح
مياض واهيم الأثوب فى ملك الله ، وهتفت كل خلجة من خلجاتى :
— ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانهك .

فاجرة

- ١ -

سارت فردوس في الغرفة الواسعة وهي تحمل بطانية رمادية من الصوف ، واتجهت الى الأريكة التي كانت تعدها لتكون سريرا للوائد الجديد ، وطوت البطانية ووضعتها في عناية فوق طرف الأريكة الخالي فقد كان في الطرف الآخر وسادة صغيرة ، وأسدت على الجميع مفرشا أبيض راحت تمرر يدها عليه لتبسط ثنياته .
واتجهت الى الكنسول وراحت تجره ، وإذا بزوجها يدخل ويقول لها :

— ماذا تفعلين ؟

— أقرب الكنسول من الفراش ، ليضع كتبه وأدواته في أدراجها ويستعمله مكتباً . . ليس عندنا مكتب .

— ولماذا لم تناديني لمساعدك ؟

— لم أشأ أن أتعبك .

فقال وهو يرمقها في ود :

— تعبك راحة .

وشمر أكمام جلبابه وأسرع اليها يعاونها .

كانت فردوس في الخامسة والعشرين تمحية اللون واسعة العينين يلبس سوادها لمعانا اخاذا وبياضها ناصعا ، وانفها متناسبا وشفتاها رقيقتين منطبتين على قم اشبه بجرح دقيق تتجمع دماؤه لتتفجر ، وغار طابع الحسن في ذقنها ، وشعرها في لون الفحم يبدو فيه الفرق الابيض كحريط من العاج مد في وسط مخمل اسود ، وغطى مؤخر رأسها منديل ابيض تلت من حواشيه احجية صغيرة شملت من خيوط في لون العقيق ، ونبتت من تحت المنديل صغيرة غزيرة طالت حتى لمس طرفها أعلى جزء في مجزها .

وكانت ترتدي ثوبا مضافا ناصع البياض أقرب الى جلباب الرجال ولكنه عجز عن أن يكتف سر الجسد الذي يحويه ، فالثديان المثلثان يهزان في رعونة كلما أقبلت أو أدبرت ، والأرداف تتكور كلما مالت تلتقط شيئا أو انثنت على السرير أو الارائك أو المقاعد تعيد تسيقها ، أما الخصر النحيل والبطن الذي لم يعرف الحمل فقد كان يفضحها ضنها لحشوية كبيرة بين ذراعيها ورفعيها على صدرها ، فالثوب يشد حول الجسد شدا ويكشف سحره .

وكان سويلم يخطو نحو الستين ، طويل القامة محدودب الظهر قليلا ، جاف الوجه مضعضع العينين تبعثرت في ذقنه بعض شعرات بيض . يرتدي جلبابا من الصوف وان لم يكن الشتاء قد أقبل ، ويضع على رأسه طاقية من الصوف .

بوضعا الكسول بالقرب من الأريكة وأخذت فردوس تنظف مراآة بأوراق صحيفة ، ووقفت سويلم يتطلع اليها بعينين راضيتين وقال :

— اهو ابن خالتك ؟

فألت فردوس وهي مستمرة في عملها وصدرها يترجرج :

— أمه ابنة خالتي .
 وصمت قليلا ثم قال :
 — كم سنه ؟
 — والله لا أدري . . آخر مرة رأيته فيها كان طفلا صغيرا .
 فغمغم :
 — طفل صغير ؟ !
 ثم قال في صوت فيه دهش :
 — وماذا نفعل لو بكى ليلا وطلب العودة الى أمه ؟
 فضحكت فردوس ضحكة ناعمة وقالت :
 — تحمله على كتفك ونذهب به الى أمه . .
 فقال في فزع :
 — أخرج في برد الليل ؟ والله لو بكى . .
 ولم تدعه يتم حديثه بل قالت وهي تضحك :
 — أطمئن فلن يبكي ، كانت آخر مرة رأيته فيها من تسع سنوات
 . . بعد زواجها بسنة . كان لم يذهب الى كتاب القرية بعد ، وقالت
 لي أمه : لما ياخذ الابتدائية سأبعث به اليك في البندر ليدخل مدرسة
 الصنائع .
 كنت احسبها تمزح فقلت لها بمجاملة : سأضعه في عيني . .
 ولم تأس ما دار بيننا ، ذكرته في رسالتها كلمة كلمة كأنها نقش في
 رأسها .
 ورفعت فردوس كرسيها من الخيزران في يدها ووضعت تحت
 حلقة ندلت من السقف ، ثم خرجت من الغرفة . . وما لبثت أن
 عادت تحمل مصباحا كبيرا ياتلق معدنه وتشمخ زجاجته ، ودفعت
 بالمصباح الى زوجها ووقفت على الكرسي ، ومدت يدها وقالت :
 — هات

بمثل لها وهي يهد يده بالمصباح

— خذى .. ياخذ عدوك .

وشبت على أطراف أصابعها وهي تضع المصباح في الحلقة ،
فشد بسمها وانحسر الثوب قليلا عن ساقها الممتلئة ، فمد سويلم
يده وراح يهررها على ساقها في حنان ، فزنت اليه في دلال وقالت
في خدش :

— أقع .

وضحكت ضحكة طويلة مفعبة كلها نداء ، فابتسم سويلم في
مزاراة . وقفزت فردوس في خفة وارتمت في صدره ، فوضع
شفتيه على خدها وطبع قبلة باردة أحسنت قشعريرتها في روحها .
وارتفع رنين جرس « كرتة » فأسرعت فردوس الى الشباك
ونظرت ، ثم التفتت الى زوجها وقالت :

— عرفة حضر .

وعادت الى زوجها مهولة ، وأخذته من يده وانطلقا لاستقبال
الوافد الجديد .

وتفأ عند رأس السلم يترقبان .. كان سويلم يحس بعض
الضيق فقد ألف حياته وما كان يحب أن يعتمورها التغيير ، أما
فردوس فقد كانت تستشعر رغبة في استكناه طلعة الطفل الذي لم
تره منذ تسع سنين .

وراح عرفة يصعد في الدرج وهو مطرق الرأس يعلق في
فراعه صرة بها ثيابه ، ويحمل في يده الأخرى حقيبة عتيقة من
الجلد الأصفر اسودت أطرافها من العرق . وأحس أن هناك من
يرقبه عند رأس السلم فنظر دون أن يرفع رأسه ، فآلفي سويلم
وفردوس ينتظرانه مخفق قلبه في شدة واضطراب ، وأخذ يصعد
متبهلا لعل القلق الذي نزل به يهدأ ولعل أنفاسه تنظم .

وسنا ، نهما فاذا بهما ينظلمان اليه وقد فغرا انما وهما ولاح
الدهش في اعينهما .. كان فتى مكتمل النمو عريض الكتفين قوى
الساعد ، وانشرح صدر فردوس ورفعت على شفيتها بسنة عريضة
بينما زاد انقباض سويلم ، ولم تفلح الفرحة التي لاحت بين شفتيه
فى أن تخفى عبوسه .

روسل اليهما وعيناه حائرتان بينهما ، وفتح فمه ليلقى عليهما
تحية واكن حبس صوته فارتبك ، فأسرعت فردوس تقول وهى تمد
له يدها :

— اهلا وسهلا .. شرفتنا .

والتفتت الى زوجها وقالت: ويدها لا تزال قابضة على يد الفتى :

— عمك سويلم .

وأرخت يدها القابضة على يده فمد يده ومال ليقبل يد الشيخ
الممدودة لمصافحته ! ولكن الشيخ سحبها بعيدا عن الفم المزموم .

وساروا جميعا ليدخلوا الشقة وقد تباينت مشاعرهم ، فردوس
تختلس، النظر الى الفتى فى متعادة ، وسويلم يرمقه فى برم ، وهو
سائر كالمذهول. ينكر نفسه .

وبلغوا الغرفة التي أعدت له ، وقالت فردوس وهى تفسح له
الطريق :

— تفضل .

وتقدم وحده وجعل يتلفت فى ارتباك ، ووقعت عيناه على
الكتسول فأتجه اليه ليضع الصرة والحقيبة فوقه ، والتفت عيون
الزوجين فهست فردوس :

— والله لو بكى فى الليل لمن يحمله على كتفه احد غيرك .

درنت فى المكان ضحكها المنغمة الزاخرة بالنداء .

- ٢ -

سرى في سكون الليل صياح ديك واذا بصيحات الذبوك
تتجاوب من كل مكان ، وتسلبت خيوط في لون الرصاص من
خصاص الشباك تجاهد لتزحزح الظلام الثقيل الجائم على أنفاس
حجرة نوم الزوجين ، وهتك الصمت وقع أقدام في الطريق وأصوات
عجلات عربية مقبلة من بعيد .

يراحت الخيوط الرصاصية تتحول الى خيوط من اللبنة ،
فبدت أعمدة السرير النحاسية الصغراء الشسابة كأعمدة من
الابريز ، وتقلب سويلم في الفراش وتمطى ، ثم أراح الغطاء عنه
ونفض ليذهب الى دورة المياه يتوضأ .

والقى نظرة على فردوس النائمة الى جواره فالفى ساقها قد
تعدت ، فمد يده وسحب الغطاء فوقها وستار وما ان ان غادر الغرفة
حتى دفعت فردوس الغطاء عنها بقدمها ورفعت ساقها الى أعلى
فانحسرت ثيابها عن مخفيها ، ودارت في السرير نصف دورة ،
وبحركة رشيقة كانت مقتصبة على قدميها ، وانطلقت الى غرفة
عرفة وفتحت الباب فالتفت عرمة جالسا على الاركة التي أعدت
لنومه ، فالتفت له :

— يسعد صباحك .

— يسعد صباحك .

بشاولت من خلف الباب تصبة من الغاب مجومة ، وتقدمت

حتى يقف تحت المصباح ووضعت طرف القصبة في الفتحة المجوفة
بتعر المصباح ونفخت في القصبة ، فانطلق النور الخافت الذي كان
يتراقص كأنها يترنح قبل أن يلفظ أنفاسه .

ذهبت الى الكرسي الخيزران ، وفطن عرفة الى ما ستفعله
فقد رآها مرارا تقوم به ، فكان أسرع منها الى الكرسي وحمله بيده
ووضعت تحت المصباح ، ثم وقف فوقه ليتناول المصباح من الحلقة
المدلاة من السقف ، وذهبت فردوس منه ورفعت رأسها ترمقه وفي
عينها عبطة وفي صدرها نشوة ؛ باتت تستشعر مشاعر جديدة
مذ جاء الى البيت . . تدسست في روحها يقطلة بعد طول هجوع . .
كادت الشبخة المبكرة تنجح في أسدال أسترة كثيفة على قلبها
الشباب ، فإذا بوفوده يهتك الأسجاف ويجعل القلب يرقرق في
انطلاقي . وكادت كنوز قلبها تغور وإذا به يفجر المكنون فتفتتح
مهبثها تفتح الزهر للندى ، وترق أحاسيسها رقة أنفاس السحر ،
ويترقق في جوفها حنان دفاقي ، وتدب في أوصالها حياة حلوة
عذبة لها طعم حبيب مشتهي لم تذقه من قبل . . مذ عرفت كيف
تذوق الحياة .

حربت الأمومة سنوات فكبت أحاسيسها الرقيقة ، فلما جاء
وجدت مشاعرها المذخورة المكنونة منفسا . آه لو كان أصغر قليلا
مما هي لأجلسته على فخذاها وضمتها الى صدرها وجعلت تعبت
بأحسانها في شعره ، وطفقت تلمسه دون حرج هنا وهناك .

رطب عرفة والمصباح في يده ، وتحرك لينطلق به الى المطبخ
يممره بالحاز فاعترضت طريقه ، ومنذ يدها تتناول منه المصباح
وعيناها على شفثيه تراودها فكرة أن تتقدم خطوة وتقبله ، ولكنها
وادت وسوسة النفس واخذت عيناها تطرفان في اضطراب على
الرغم من البسمة التي زفت على شفثيها .

وشارت على عقبيها وانصرفت وقلبها يخفق في حنان . وقد
انتشرت في جوفها رهبة لذيدة لها نشوة استكانت لها وأخذت
تغذيها بالأفكار ، راحت تجتر ذكريات يوم الجمعة . غرفة في
غرفته أم يغادرها ولكنها تلمح في غدوها ورواحها
البيت مهددا على كنية في استرخاء . موعد صلاة الجمعة يقترب
.. الزوج يطلب منها أن تعد الحمام .. موقد الجاز يطن ..
البخار يتصاعد من الصفيحة الموضوعة فوق الموقد .. الزوج يدخل
الحمام وعلى كتفه بشكير أبيض .. ترتفع طرقات الزوج على باب
الحمام .. تتفتح الباب في حرص لتدخل بسرعة قبل أن يدخل الهواء
البارد .. تلتقي عينها بعيني غرفة وهي تنسل الى الحمام ..
يفض غرفه من بصره حياء .. يشرق وجهها بالابتسام .

انها تدرك ذلك ظهر الشيخ المرقور بالليفة والصابون في شدة ،
انتقلت الحياة المتدفقة في جوفها الى ساعدها فتأوه الرجل وصاح
فيها أن ترفق به ، ولكنها ظلت تدلكه في حرارة ماهرها أن تكف
قبل أن تدق عظامه . وضحكت ضحكتها المنغمة الزاخرة بالنداء ،
وخرجت وأثر الصابون في يديها فأخذت تجففهما وهي ترنو الى
غرفة منتشية .

وذهب الزوج لصلاة الجمعة ، وذهبت الى غرفة تدعوه
للاستحمام ، وأغلق باب الحمام خلفه وانطلقت نبض شاتها ..
ولكن سرعان ما وجدت نفسها منجذبة الى الحمام ، وطفقت تغفو
وتروح أمامه وأنفاسها تتلاحق . نبتت في أغوارها مشاعر كثيرة
متباينة لا تدري كنهها ، كانت مزيجا من الأمومة والرغبة والرهبة
والاستياء ، ومس أذنيها صوت ارتطام الكوز بالصفيحة فجعلت
مفزوعة ، ولكن ما لبثت أن عادت مسعدة هابطة أمام باب الحمام .

٢٥ لو كَانَ أصغر قليلا لفتحت الباب ودخلت تغسل له رأسه
وصدره ، وذراعيه وفخذه وساقيه وقدميه ، وتصب عليه الماء صبا
.. انها لا تذكر انها قامت بغسل جسم غلام وانها تحس السعادة
انها حرمت من لذة .

وهمس في صدرها هانس يسألها عما تفعله اذا دق الباب
وطلب منها أن تدلك له ظهره ، ولم تجب عن السؤال ولكن سرت
في جوفها مشاعر لذيذة مغلقة بغشاء رقيق من الخشنة .

وتحركات أكرة باب الحمام فهولت مبتعدة كأنها خشيت أن
يراهم قريبة من الباب فيفطن الى ما دار في خلدها ، وخرج يرتدى
جلابا مخططا مفتوح الصدر فقالت له :

— نعميا .

— انعم الله عليك .

واعترضت طريقه ، ومدت يدها تزرر له الأزرار المفتوحة وهي
تقول :

— زرر صدرك الدنيا برد .. وأنت خارج من الحمام .

وأنفحت أنفاسه الحارة وجهها فطكاك في عبلها تنعم بالخدر
اللذيذ الذي سرى في كيانها ، ولمحت قطرة ماء على جبينه فمسحتها
بكنها في حنان .

واستأنف سنيده الى غرفته وذهبت الى الحمام تغسل له ثيابه ،
كان الغسيل بغياضا الى نفسها ، ولكنها لم تستشعر ذلك الضيق
الذي كانت تحسه كلما جلست الى طست الغسيل ، بل كانت تغنى
في نشوة .

واماقت من الأحلام اللذيذة الدائرة في رأسها على وقع أقدام
خلفتها ، ماالتفت فوجدت غرفة مقبلا ، فرمته في استفسار فقال
لها :

— أساعدك ؟

— لا . . استرح أنت .

★ ★ ★

وفي الصباح رآها واقفة في المطبخ أمام موقد الغاز فقال لها :

— ماذا تفعلين ؟

— انى اعد الافطار .

مذهب ووضع الطبلية ، وعاد الى المطبخ يحمل ما أعدته .

وتحلقوا الطبلية ، فردوس وسويلم قد جلسا جنباً الى جنب وجلس عرفة أمامهما ، وأخذوا يتناولون طعامهم وهم يتحدثون احاديث شتى لا ينتظمها سلك ولا يربط بينها رابط .

وتحركات فردوس لتريح رجلها فأنحسر ثوبها عن فخذيها ، ووقعت عننا عرفة على الفخذ العارية فادام النظر ، ولمح الشيخ اتجاه العيون الخائنة فلكر فردوس بمرقله وقال بصوت فيه رنة غضب :

— غطى رجلك .

وارتبك عرفة وأسبل عينيه ، ودق قلبه في شدة وتدققت دماء الخجل في وجهه فاحمر ، ومد يدا متخافلة الى الطعام وأعادها الى فمه ، ولكنه لم يسخ ما يأكله فجعل يلوكه في فتور .

فأحسبت فردوس ما يكابده الفتى فأنشغقت عليه وضائت بها فعل زوجها ، وهمت بأن تقول شيئاً ترفه به عن عرفة ولكنها خشيت أن تفتج باباً قد يؤدي الى جرح شعوره فإلذت بالصمت . وبعد عرفة عن الطبلية فقالت له فردوس :

— كل .

— الحمد لله .

ينهر ليحمل كتبه ويتسلل الى مدرسته .

- ٣ -

دق جرس المدرسة ايذانا بالانصراف ، فخذ التلاميذ الى ملعب الكرة من كل فج واستوائهم عالية وضحكاتهم مججلة ، فقد ذهبوا ليشاهدوا المباراة التي ستقام بين فريق مدرستهم وفريق المدرسة الثانوية .

وتنسل عرفة من رقاقة وانساب مسرعا صوب الباب ، وقابله احد زملائه وهو يحمل بوق فونوغراف يهتف فيه مشجعا مدرسته ومحبي اللاعبين الاصدقاء ، وخافه ثلة من التلاميذ يتصايحون ، فرقت علم شفتى عرفة بسمة ، وانطلق في طريقه دون أن يلوى عنقه ، فقد أصبح يتعجل ساعات الدراسة ليعود الى البيت . بات يجد سعادة غامرة في الحديث الى لردوس والاصفاء اليها ومشايكتها فيما تفعل ، والتمتع بدعاباتها .

ووضع المثلث الكبير وبعض ادواته تحت ابطه وراح يضرب في الطريق المنساب بين الحقول .. وقد خلف وراءه اشجار الجازيين العالية التي تحد مدرسته ، وامتدت على جانبي الطريق خضرة نباتيت ألوانها واشكالها وثمارها ، الخبيزة كأنها دوائر من مخمل أخضر ، وأوراق الترمس كأنها من رسم فنان سريالي لا تماثل فيها ولا تجانس ، والطباطم كأنها جواهر انسدت عليها أوشحة خضراء تخفيها عن العيون .

ويبلغ طريق المدينة المرسوف غضرب الأرض بقدمه في قوة
مرات متتاليات ليزيل الغبار العالق بحذائه ، ثم استأنف سيره
ووسع من خطوه ، وجعل يهتم في اهتمام العربات « والكارات »
والدراجات التي تحمل على جانبها أقساط اللبن : القادمة من
اليمن ومن اليسار على السواء .

ودلف الى حارة جانبية ليتجنب المرور على مفلق خشب الشيخ
سويلم ، فقد مر عليه مرة وحياء فابقاه معه حتى عادا الى البيت
معا بعد صلاة المغرب ، ومن ذلك اليوم تحاشى أن يمر عليه غدا .
بودته حتى لا يحرم من الذ ساعات النهار .

ربلغ الدار وصعد في الدرج وثب ، ونقر الباب بأصبعه نقرات
خفيفة فأسرعت فردوس وفتحه ، ولما وقعت عينها عليه قالت :
« أهلا بالبائس هيندس » .

ومدت يدها تحمل المثلث الكبير والأدوات الموضوعة تحت
ابطه ، وسارا جنبا الى جنب الى غرفته يلمس كتفها كتفه مرة :
ويحتك ذراعه بذراعها مرات ، وتأتلق العيون ببريق أخاذ .

ووضعت المثلث والأدوات على الكنسول ، ولحت لوحة بيضاء
عليها خطوط رسمت بحبر أسود فقترست في الرسم برهة دون أن
تفهم شيئا ، فقالت وهي تتطلع الى صورة عرفة المنعكسة في
المرآة :

— ما هذا ؟

نقال وهو يذئ منها :

— رسم لعمل أبريق .

ووقف خلفها وأخذ يتطلع الى الرسم من فوق كتفها وهي تعاود
النظر لعلها ترى أبريقا ، ولكنها لم تر الا دائرة وخطوطا ، فرجعت
راسها وقالت وهي تنذر الى المرآة :

— أين الأبريق ؟

ممد ذراعه من خلفها وجعل يمرر أصبعه على الخطوط وهو يقول في اعتداد الاستاذ :

— هذه دائرة قاع الأبريق ، وإذا قص هذا الخط وهذا الخط وقرطسنا الورقة ولصقنا هذا الطرف بذلك الطرف تكون جسم الأبريق .

— وما هذه الخطوط ؟

— زخرفة في الأبريق .

فقالته وهي ترنو اليه بطرف عينها :

.. « أبريق الحنبلى كل ما يفرغ يمتلى » .

وتسحكت ضحكتها المنغمة الزاخرة بالنداء ، ورننت اليه رنوة طويلة وابتمت بسمة خبيثة ، ومالت قليلا في دلال حتى مس ظهرها صدره فأحس خدرا لذيذا ، والدماء الحارة تتدفق في عروقه وتضمد خديته .

وبارت في خفة دورة كاملة فأصبح صدرها أمام صدره . وقالت وهي تعبت في ازرار قميصه :

— هل بعثت بك أمك الى هنا لتصبح سمكيا ؟

وتعلقت عينها بشفتيه ، لم تكن تنتظر جوابا بل كانت نفسها تغريها أن تلف ذراعها حوله وأن تضمه اليها وأن تضع شفتيها على شفتيه ، وقال في صوت مضطرب تخنقه انفعالاته :

— هذه تمرينات .. نبدأ بالبسيط ثم ننتدرج ، أننا فدرس هندسة السيارات في السنة الأخيرة .

ظللت عواطفها الثائرة تعريد في اغوارها فمدت يدها وربت على خده ، ثم انصرفت مسرعة لتفر بنفسها من نفسها .

وراح عرفة يخلع ثياب المدرسة وارتنى جلبابه المخطط ،
وجلس على حافة الأريكة ومد يده وتناول كتابا وفتحته ، وحاول
أن يقرأ فيه ولكنه كان شارد الذب يحس رغبة في أن يذهب إلى
غريوس يعاونها فيها تفعله ويسعد بقربها .

وبحسب الكتاب جانباً وثام ليذهب إلى المطبخ فقد وصل إلى
سممه ملتين ،وقد الغاز وفطن إلى أنها بدأت في الطبخ ، ووقف
بجسبه يستد باب المطبخ ونظر فالغها تنبئ الأرض في غطاء الحلة ،
فقال لها :

— ر أنا ماذا أفعل ؟

فتالت دون أن ترفع رأسها :

— تقشر البصل وخرطه .

وتحرك ، وقبل أن يصل إلى البصل قالت له :

— تلب الحلة .

فاتجه إلى الحلة الموضوعة على النار وراح يقلب الخبيزة
في الماء المغلي ، واستمر في التقليب حتى أمرته أن يكف .

وراح يقشر البصل وهو يبعد وجهه عنه ، ولكن رائحته النفاذة
تسللت إلى خياشيمه وحركت دموعه ، ولحته وهي تتجه إلى الحلة
الموضوعة على النار فابتسبت .

وقلبت الحلة في مصفاة تحتها وعاء ، واخذت تلك الخبيزة
بيدها لتصفيتها وهي تنظر إليه ، وبدأ في تخريط البصل فسالت
الدموع غزيرة من عينيه ، فضحكت ضحكتها المدودة الناعمة
وقالت :

— دع البصل وتعال صف، الخبيزة .

فقال في مكابرة :

— سأنتهى من البصل وأصغى الخبيزة .

ومدت يدها النظيفة تجفف له دموعه بطرف جلبابه .

وانتهى من تخريط البصل فهد يده يذلك الخبيزة معها فى المصفاة ، وارتطبت يده بيدها أكثر من مرة ، والتصق رأسه برأسها واختلطت الأنفاس وساءت صمت قلق ، كان كل منهما ينعم بمشاعره ويقاوم الثورة المتأججة فى نفسه ، ويخشى أن يرفع رأسه حتى لا تفضح العيون ما تطويه الجوانح .

وهـ الوقت دون أن ينبس أحدهما بكلمة ، هى تتظاهر بالانشغال بالحلة الموضوعة على النار وهو الى جوارها يتطلع الى ما تفعل كأنها يريد أن يعى درسنا ، كانت عيناه تتسللان من جيب صدرها ليكشفاسره .

وقال عرفة وقد أشرق وجهه :

— عرفت كيف تطبخ الخبيزة .

تالت فردوس وهى تدير رأسها وتنظر فى عينيه :

— ستصبح باشطباخ قبل أن تصبح باشمهندس .

يشحكت ولكزته بهرقتها فى صدره فى خفة ، هابتسم وتقدم خطوة وفى جوفه اغراء بأن يضع يده على كتفها .

وتحدث محبس موقد الجاز فخبث النار حتى خمدت ، ولكن النار التى كانت ترعى فى أحشائها ظلت تتلظى ، وتحركت ووضعت جردلا تحت الصنبور وراحت تملؤه ماء فراح عرفة يشمر عن ساعديه ، فقالت له :

— ماذا ستفعل ؟

— سأسحق الشقة .

— لا ، اذهب وذاكر .

— والله لن يمسحها اليوم أحد غيرى .

وبعد يده وحمل الجردل ، وقبل أن يتحرك قالت له :

— انتظر . ارفع جلبابك حتى لا يبتل .

وقبل أن يضع الجردل على الأرض مالت وتناولت طرف جلباب ، ورفعته وراحت تشده فى قوة حول وسطه وتثبت بـعضه فى بعض ، فصار الجلباب من تحت وسطه طبقتين ، وتعدت ساقاه ولاح فيهما زغب خفيف من الشعر .

«انثنى وبين يديه خيشة المسح ، وأخذ يمررها على البلاط فى سرعة وهى يتقهقر ، وكاد يرتطم بفردوس فضربته بكفها على كفه وقالت :

— حاذر .

ونظر إليها من بين ساقيه المفتوحتين وابتنم ، فضحكت فردوس مسحة طليقة مرحة جلجلت فى المكان حتى غطت على صوت المفتاح الذى دار فى باب الشقة الخارجى .

ومسكت ضحكتها مسامح الشيخ ستويلم فتقدم على أطراف أصابعه ونظر ، فالتفت عرفة منهمكا فى المسح وزوجته قد علقـت طرف نوبها بأصبعها حتى لا يبتل ، وراحت تقول :

— عرفة ! كفى وسطك انحل .

وتنحى الشيخ فدارت فردوس بنصفها الأعلى ونظرت ، وظل عرفة قابضا على الخيشة وان

فردوس :

— بسم الله الرحمن الرحيم خلعت ؟

فقال الشيخ ستويلم وهو سائر فى طريقه الى غرفته :

— من الباب .

ورمى عرفة بنظرة نمت عن ضيقه ، وزاد فى مرارته لما رأى

ساعدي الفتى، المفتولتين . كان ينفس عليه شبابه ويغار من فتوته
فى أغياره ، وان لم يكن يعى حقيقة مشاعره ، ودخل غرفته
ومردوس خلفه ، وأحس رغبة فى تقريعها ولكنه كبح عواطفه ..
خشى ان يستسلم لثورته فيبالح فى ايلامها وهو لا يحب أن يمزق
قلبها ، فهو يهواها ويهيم بها حبا على الرغم مما يبدو منها من رعونة
أحيانا .

ووطن النفس على الصمت حتى تهدأ نفسه ويخبو شره
ويختلج بها فى الليل ، فينضى إليها بما يريد أن يقوله وهو
يداعبها .

ومدت مردوس يدها تعاونه على خلع ثيابه وقالت :
— أحضر العشاء ؟ الخبيزة ساخنة .
— هيا .

وخرجت وبقي وحده يفكر ، وراح يمرر يده على جبهته ليمسح
المشاهد البغيضة المتناثرة التى نبتت واختلطت فى رأسه .. عرفة
وهو يختلس النظر الى فخذ زوجته العارية .. وبائعات الهوى
جالسات أمام حوانيتهن ، فقد كان لفظ « الخبيزة » الذى كان
يطلق على حبهن كفيلا باقابلة الحى فى ذهنه نابضا بالحياة وان
كان قد أندثر من سنين بعيدة .

وتسلم وراح يغدو ويروح فى قلق ، وارتفع صوت مردوس
يدعوه للعشاء :
— تفضل .

وانطلق مهرولا ليفر ، وجلس الى الطابلة وهو
يمد يده الى طبق الخبيزة ، ولكنه توقف قليلا وتفرس فى وجه
عرفة ثم التفت الى زوجته ، فلما تيقن من أن فخذها ليست عارية
بدأ يأكل .

وانتهوا من طعامهم ، وانسل عرفة الى غرفته ليستذكر

- دروسه ، واغلق الزوجان باب غرفتهما عليهما .
- تمددا في السرير ، وأحكم سويلم الغطاء عليه وشرد ببصره قليلا ثم قال :
- انى أفكر في عرفة ، لماذا يتجشم أهله ارساله الى المدرسة ؟ لماذا يحرمون أنفسهم من معاونته ؟
- فقالت فردوس في حماسة :
- ليؤمنوا له مستقبلا أفضل . بعض سنوات من الصبر تزيد ثأدته .
- انهم سيخسرونه الى الأبد .. لو إبتوه معهم وزوجوه لضمانوا نفعه .
- فقالت فردوس في انكار :
- عرفة يتزوج ؟ ! انه لا يزال طفلا .
- نقال سويلم وقد لوى شفته السفلى :
- تزوجت أول ما تزوجت في مثل سنه .
- فقالت فردوس في سخريه :
- ولماذا كانت العجلة ؟
- ولم ينطق الى سخريتها ، وشرد يجتر ذكريات شبابه في نشوة ، (وقد أثر أن يطوى حقه على عرفة بين جوانحه) بينما رن صوت فردوس في أعمائها وان لم تتحرك شفتاها يقول :
- يا وكسه ! أخذتك لحما وتركك لى عظها ، مصتك مصا وجئتني جافا ، آه لو تزوجتنى وأنت في الخامسة عشرة !
- وبدفت دماؤها الحارة في عروقها واشتعلت النار في جسدها ، فوضعت شفتيها الملتهبتين على شفتيه ولكنها كانتا كجثة هامدة .

- ٤ -

عاد في العصر مسرعا كعادته :معاون فردوس ويعيش معها
أسعد لحظات يومه ، وراح ينقر الباب بأصبعه نقرأ خفيا ، ولم
تخف فردوس كعادتها بل ظل الباب موصدا مدة ، ومس أذنيه
صوت هرولتها في قدومها فتاهبت حواسه لاستقبالها .. خفقان
لذيذ في القلب ، نشوة مدغدة في الصدر ، بريق خاطف في
العين ، لسان رطب يمر على الشفتين .

ونتح الباب ولم تنبس فردوس بكلمة ، كان جبينها يلمع
وحاجباها مزججين ، وخدها متوردا من اثر التنف ، وكانت يدها
خلف ظهرها تخفى شيئا ، فطن الى ان الحلوى لا تزال بين
أصابعها ، فرفت على شفتيه بسمة وزاد نالق عينيه ، ورنفت اليه
فردوس رنوة كلها خبث ، ثم هرولت الى غرفتها وواربت بابها .
ودخل غرفته ووضع كتبه وخلع ثيابه ، وجلس على الأريكة ،
ولكنه لم يستطع ان يستقر فنهض وسار حتى دنا من غرفتها ، ومد
بصره محاولا ان يرى ما يجري هناك من فرجة الباب وهو يستشعر
قلقا مشتهى ، ورغبة جامحة ، ومشاعر رقراقة تعربد في جوانحه .
كان يعرف حقيقة ما يجري خلف الباب ، فقد كان وهو غلام يرتب
ما تفعله النسوة بالحلوى في اهتمام ، حتى ان كل تفاصيل العملية
خفرت في ذهنه .

وعجز عن أن يكشف شيئاً ، ولكنه رأى بعين خياله فردوس
وهى شبه عارية ، وقد اضطجعت وراحت تزيل الشعر من كل مكان
ينبت فيه من جسنها ، فتدفقت الدماء حارة في عروقه ، وراودته
أفكار ثائرة راحت تحرضه على أن يقتحم الباب وأن يطفئ النار
المشبوية في أحشائه ، ولكنه كبج جياح نفسه جاهداً وعاد إلى
غرفته وهو في شدة الانفعال ، والقى بجسده على الأريكة وأخذ
ينظر إلى عروق السقف وهو سناهم ، وشرد بذهنه فإذا به يجد
نفسه وهو غلام لا يتجاوز السادسة من عمره يلعب في القاعة إلى
جوار أمه ، وفاطمة جارتهم الشابة المخطوبة التي تنتظر انتهاء
موسم القطن لتزف إلى زوجها تقبل وتقول إنها وحدها وقد ضاقت
بوحدها ، وتلتبس من أمه أن تسمح له بالبقاء معها لمؤانستها حتى
يقبل أحد من أهلها الذين ذهبوا إلى الغيط .

ورأى أمه وهي تطلب منه أن يذهب في نبرات راضية ، كانت
سعيدة بذهابه لتتخلص من شقاوته أو لتبعده حتى تستطيع أن
تفعل نى حرية ما تتحرج من أن تفعله أمه ، ورأى نفسه وهو
ينهض مثاقلاً فهو يحب أن يكون إلى جوار أمه دوماً لا يفارقتها .

وأخذته فاطمة من يده وهي تداعبه ، وانجها إلى دارها التي
تبعد عن دارهم بضعة خطوات ، ودخلا إلى القاعة وأغلقت فاطمة
الباب خلفها ، وسارت به حتى أوغلت في القاعة ثم جلست في
الظلام وجذبتة من يده وضمتها إلى صدرها وراحت تقبله .

فطن على الرغم من صغره إلى أن قبلاها تختلف عن قبلات
أمه ، فقبلاها حارة وأنفاسها التي ترتطم برجعه أكثر دفئاً وسرعة ،
وصدرها في ارتفاع وانخفاض ، ويدها تضغط عليه في قوة
وانفعال .

وطلبت منه أن يلف ذراعيه حولها وأن يضمها غفعل ،
واستشعر احساسا غريبا لما التصق صدره الفحيل بمسودرها
المحتلىء ، وسكنت الراحة في مؤذنه فاستكان لها وتركها تفعل به
ما تشاء ، وهو سعيد غاية السعادة بما تفعل .

واستلقت على الأرض وذراعيها حولها ، وجعلت تاتي أنفعا
لم يشهدها من قبل ، وهو يتلقى كل ما تفعل مفتوح الاحساس ،
يكتسب تجارب جديدة قبل الأوان .. واستمر لحظات يحس
احساس النائم الذي يعيش في رؤيا بهيجة ،

وراح الوقت يمر وهو بين يديها ، يلبي رغباتها دور ، أن يجفل
أو تهشى في أوصاله رعدة .. كان سعيدا بالدنيا الجديدة التي
تتهتك أستاذها أمام عينيه المبهورتين .

وتركته بعد أن عرف أشياء لا يعرفها أغلب شباب القرية
ليلة الزفاف .

وصار يتردد عليها في كل وقت تخلو فيه دارها من أهلها ،
وما أكثر ما كانوا يتركونها وحدها ، وكان يمضي أغلب الوقت معها
في دعاية ولعب وعناق ، وأصبح يتبعها ككلب أمين لا يفارقها .

وكرنت الأيام وهو سعيد بالعالم الجديدة التي راح يجوس
خلالها ، وجاء يوم زفافها فحملوها إلى دار زوجها وهو واقف
ينظر ، يحس احساس الطفل المدلل الذي سلبوه دميته .

وغابت فاطمة من حياته ، ونسيها ولكنه لم ينس الدرس الذي
لقد تعلمته ، فصارت لعبة (العروسة والعريس) هي اللعبة المفضلة
عنده ، راح يجتمع غلمان القرية الذين في مثل سنه ويجمع الفتيات
الصغار ويخطب من بينهم عروسا لنفسه ، ثم يقوم الأولاد بالطبل
والزمر والرقص وإطلاق الزغاريد بينما يأخذ هو عروسه ويختلي

بها فى ركن من بيت أو مكان مهجور ، وياخذ فى ممارسة ما علمته فاطمة .

وراح يستعرض فى ذهنه فتيات القرية اللاتى لعب معهن لعبته المفضلة ، كن فتيات صغيرات غريرات بين يدى خبير مجرب ، وإن لم يتجاوز السادسة .

وقفز بذهنه السنين ليفر من صور الصغيرات اللاتى لم تعد صورهن تثير فى نفسه شهوة ، ورأى حقلا متندا يبدو فى ضوء القمر كأنها أريق على نباته ذوب من الفضة ، وهو يلعب فيه مع بعض الرفاق من الأولاد والبنات « الاستغماية » . كان على اعتاب الثانية عشرة وكان يعتمد أن يختفى مع فتاة نامية فى الجرن أو خلف الساقية ، وكان يطول اختفاؤهما ، يحاول أن يجر الفتاة الى ما كان يجر اليه الصغيرات الغريرات ولكنه بخفق فيكتفى بالضم والقبل .

وسرعان ما تزوجت الفتاة ، وقابلها بعد زواجها فى خلوة فأسرع اليها يقبلها ، فقالت له وهى ترنو اليه من طرف عينها :
— اننا لا نقبل الآن .

وحسب يومها أنها تحذره من الاقتراب منها ، ولم يظن الا الساعة وهو يتململ فى الأريكة ، الى أنها كانت تدعوه الى ما يشتهي ، فيدير وجهه ويمد بصره الى الباب الذى يخفى خلفه فردوس شبه عارية .

ونهض متوتر الاعصاب مرهف الاحساس ، تجرى الدماء الحارة فى عروقه وتهجس فى نفسه هواجس تستبد به وتدفعه دفعا الى حيث تختفى فردوس ، فيسير مسلوب الإرادة حتى

إذا ما دنا من الباب يستيقظ فجأة ، ويشد وجيب قلبه وتسمره
رهبة عارمة في مكانه ، ويتلفت حوله وهو زائع البصر .

ومس أذنيه صوت مفتاح يدور في الباب فانخلع قلبه وطار
نفسه ذاعا ، وفر مرعوبا إلى غرفته وهو يزفر في صوت
مسموع ، فزاد اضطرابه خشية أن يصل زفيره إلى مسامع الشيخ
القادم فيفطن إلى مشاعره الخبيثة التي تطفح بها نفسه .

ودخل الشيخ سويلم وهو يتلفت في ريبة ، فلما وقعت عيناه
على عرفة وألفاه في غرفته وحده اثلج صدره ، وسار إلى غرفته
وهو يضرب الأرض بقدميه ويتنحج ليوهم فردوس أنه على عهد
لم تثبت في نفسه بذور الشك ، وأنه سليم القلب نقي السريرة .

ودخل الشيخ غرفته ، والشراب عرفة بعنقه ليرى بعينه ما رآه
بخياله ، ولكن الشيخ أوصد الباب خلفه في رفق ، وهزت لحظات
انطلقت بعدها ضحكة فردوس المنغمة الطويلة الزاخرة بالنداء ،
فأرهفت حواس عرفة جميعا ، واستيقظت فتوته فراح يغدو ويروح
في الغرفة وقد اتسعت عيناه ، يبال شفتيه بلسانه .

وخرج الشيخ من الغرفة مسرعا وفردوس تشيعه بضحكاتهما ،
وذهب إلى حيث كان عرفة فآذا بجميع مشاعر عرفة ثموت فجأة ،
ولم يبق إلا نبض يتردد برهبة خفيفة ، تركت أثرا في العيون
المفتوحة .

وأخذ الشيخ يجاذب الفتى الحديث في ود يسأله عن المدرسة
وعما يفعله فيها ، وعرفة يردد دودا مقتضبة وهو مطرق . وتحدث
الشيخ طويلا ورفع عرفة عينيه ينظر إليه فوقع بصره على خيط
رفيع من الحلوى على خده ، فتيقن أن فردوس كانت تداعبه بالحلوى

نفر منها ، وهبت بسمة بأن تولد في قلبه واذا بفول القيرة يتحرك
ويبتلع البسمة ويأخذ في نهش جوفه ، فيطأطأء رأسه أسفا وتنتشر
مرارة نفسه حتى يكاد يتذوقها بفمه .

وخرجت فردوس من غرفتها وانطلقت الى المطبخ ، وظلت في
غدو ورواح لا يجرؤ عرفة على أن يخف اليها يعاونها وإن كان
يشتهي ذلك في أعماقه ، ولا يلوى الشيخ عنقه ليراها خشية أن
تلتقى عيناه بعينيها فيضحك برغمه ، وهو لا يحب أن يظهر أمام
الصبي عابثا .

كان الشيخ يحب فردوس من كل قلبه ويتمنى أن يشيع كل
رغباتها ، ولكنه كان على ثقة من أنه ليس كفئا لها ، فبينما هوة
من السنين سحيقة تعيب علاقاتهما بالفتور ، لذلك كان يسرف في
العطف والخضوع ويتحمل نزواتها راضيا لعل ذلك كله يعوض
ما لا يملكه .

وبدأت فردوس ووقفت عند الباب وقالت :
— تفضلا .

وتحرك الشيخ والشاب خلفه ، وممر الشيخ بفردوس وهو
يفض من بصره ويكتم بسمة ولدت طلائعها على شفثيه ، وممر عرفة
بها وراح يتفرس في وجهها الذي اشتدت حمرة من اثر الحلوى فاذا
بمشاعره تتيقظ ، ويقلق شهى يتحرك في جوفه ، وبرغبة عارمة
تمور بين جوانحه وتسرى في بدنة رعدة محبومة ، فقد ارتبطت
الحلوى في ذهنه بتصورات تثير شهواته .

وجلسوا حول الطبلية وقد أسبل كل منهم عينيه .. لم يكن

أحدهم ليقدر أن تلتقى عيناه بعيون الآخرين ففى رأس كل منهم فكرة
يحرص على أن تظل سرا مكتونا .

وراح عرفة يأكل فى فتور ، وسرعان ما غادر الطبلية وانطلق
الى غرفته وفتح كتابا وأخذ يقرأ فيه ، ولكنه لم يفقه مما يقرأ
شيئا . . كان مشغولا عن كل ما حوله بالأفكار المعقدة فى رأسه .

ودخل الزوجان غرفتهما وأوصدا بابها ، فنحى عرفة الكتاب
والقى به على الكنسول وتمدد فى فراشه وأرخى لخياله عنائه ،
غراى نفسه فى الدار فى القرية وقد نام مع امه وأبيه وأخوته فى
غرفة واحدة . كان يغمض عينيه وينام بلء جفنيه قبل أن يعرف
غاطمة ، ولكنه بعد أن عرفها وعرف ما بين الرجل والمرأة كان
يتظاهر بالنوم ويحاول أن يظل صاحيا ليرى ما يفعل والداه ،
ولكن ظلام الغرفة كان ثقيلًا وكان النوم يغله قبل أن يحس شيئا .

وراح يتلهل فى فراشه وصورة غاطمة حاضرة فى ذهنه ،
يتمثل ما كانا يفعلان فيزداد انفعاله وتزداد ثورة نفسه ، ومر الليل
فى تصورات ولم ينم الا غراما .

كان الليل برضى أستاره ، والهدوء شاملا لا يعكره الا نقيق
الشفادع ونباح كلب بعيد ، ونسيم الربيع يحمل اريج الحقول ..
وراحت فردوس تتقلب فى الفراش وتغطى وجهها بذراعها وهى
مسبلة جفونها .. كانت تخشى أن تفتحها فيفر النوم من عينيها .

وأخذت مشاعر الحب والحنين تنبثق فى أغوارها واندلعت
نار الصمابة فى حناياها ، واستشعرت رغبة مستبدة تمور بين
ضلوعها فتقلبت على جنبها بحيث أصبح وجهها ناحية الشيخ الذى
كان يغط فى نومه ، ولفت ذراعها حوله وضبطته فى قوة لتسكت
الصراخ المنبعث من كل مشاعرها ، وظل الشيخ فى سباته لا يحس
النار المتأججة فى الجسد الصنادى الذى يهوى الى اطفاء الظلمة .

ومكرت فى أن تهز سويلم وأن تتعمد أن ترتطم به فى تقلبها
حتى يطير النوم من عينيها ، ولكنها وأدت الفكرة بعد أن ضاقت
بها .. كانت واثقة أنه حتى لو استيقظ واستجاب لدعائتها فلن
يهدىء عواطفها المشبوبة ، بل سيزيد أوارها ويزيد فى ضيقها .

وراحت تزفر حجم صدرها وتحاول أن تغرى النوم ليداعب
جفنيها ، ولكن احساساتها المتوترة كانت تطرد الكرى ، وتجلب
الى ذهنها أخيلة توقظ مشاعرها وتثير وجدها .

وسرى فى الجو مواء تحلة ، وراح المواء يتردد ويمتد حتى صار
أشبه بالآنين . كان مشحونا بدعوة صارخة للجنس ، فازدادت
مشاعر فردوس أرهاقا وتضخمت رغباتها حتى ملأت جوانحها ،
وأحست كأن أبخرة من الإشتهاء تضغط صدرها حتى تكاد تكتم

أنفاسها فلم تستطع أن تظل راقدة ، بل جلست فى سريرها مبهورة
النفس .

وراحت تتلفت حولها غالفت الكون كله يستشعر اقبال الربيع
الا ذلك الجسد الفانى الملقى الى جوارها تتردد فيه الأنفاس كما
تتردد فى متفاح ، فضافت به وتحركت فى أعماقها مشاعر البغض
والكرهية .

وؤيدت فى رأسها فكرة أن تذهب الى غرفة عرفة تصلح وضع
الغطاء عليه ، لعل حركتها تقفل ثورة عواطفها . واستراحت للفكرة
فنحت الغطاء عنها وهبطت من السرير فى خفة ، ووقفت تصلح
ثوبها ثم سارت على أطراف أصابعها حتى لا يستيقظ زوجها .

وخفق قلبها بين جوانحها وانتشرت مشاعر من القلق اللذيذ
فى خناياها ، وانطلقت مسحورة تقودها عواطفها فقد صار رأسها
هواء . ودلفت الى الغرفة الفارقة فى الصمت التى لا يقوى على
تبييد ظلالها النور الخافت المنبعث من المصباح المعلق فى المطبخ ،
فطافت بها احساسات غاية فى الرقة ما كان يعكرها الا ذلك الخوف
الواهن الذى لا تدرى له سببا .

وتقدمت كالطيف الى حيث يرقد عرفة ووقفت تنظر اليه وقد
سرت فيها رعدة ، وجعلت تتطلع الى وجهه طويلا ومشاعر كثيرة
تتفجر فى جوفها وأبكار غير واضحة بدأت تبذر بذورها فى رأسها .
ووقعت عينها على الغطاء الملقى على الأرض فمالت وتناولته
وراحت تبسطه على الفتى النائم ، ودنا وجهها من وجهه فاذا
بانفاسها الحارة تختلط بأنفاسه ، واذا بيدها ترفع وتأخذ فى
المرور على رأسه فى حنان ذائق .

وتبنت نظراتها على شفثيه ، فاشتد وجيب قلبها وجرى الدم
حارا فى رروقها ، ومشى خدر لذيذ فى أوصالها وطافت بها غيبوبة .
ووضعت شفثيها على شفثيه وأخذت تقبله وهى ترتجف ،

وهتك السمكون مواء القطاة المشحون بالنداء غائيات جدر حصونها المتداعية ، ولفت ذراعيها حوله وطفقت تضمه اليها فى جنون . . واستيقظ عرفة على الضم والقبل فأخذ لحظة ، ولكن سرعان ما أفاق من اثر المفاجأة وراح يندمج فى الجو الذى وجد نفسه فيه بغتة ، فلف ذراعيه حولها وجعل ضغطهما يشتد عليها كلما زادت حرارة مشاعره الفتية التى تثيرها أقل مداعبة .

ولغها صمت لم يكن يعكره الا الانفاس الملتهبة والههسات المكتومة ، وصوت تنشيع خافت ، وطفرت الدموع من عيني فردوس . لم تكن دموع الندم على الخطيئة التى تمارسها ولا على الشرف المدنس ، بل كانت دموعا تنفس عن النشوة المتفجرة فى غزارة فى اغوارها والسعادة المعريدة فى كل خلجة من خلجات نفسها . ومر الوقت وهما غائبان عن الوجود ، انفصلا عن كل شىء الا عن انفسهما بل زاد احساسهما بذاتهما ، وخبث النار المتظلية فى الجوانح فانسلت فردوس وعادت وهى تسير على أطراف أصابعها وتصلح شعرها بيديها .

وبدست فى الفراش ونظرت الى الشيخ الفانى الذى يغط فى نومه ، فلم تتحرك مشاعر الاشمئزاز التى كانت تتحرك كلها قابت فى الليل وهى تتلوى من الظلم وهو هادىء ساكن لا يستشعر ما تكابده من مشاعرها الثائرة .

وبدت يدها ورفعت الغطاء عليه واحكمته حوله ، ثم تهددت وقد وضعت رأسها على كفيها وشردت تفكر فى اللحظات المترعة بالمتعة التى مرت بها ، فلم تختلج فيها خلجة ندم بل كانت تستشعر سعادة طاغية ، وتمنى النفس بحياة كلها لذة .

وارتسم على محياها رضا ، كانت تحس زهوا انها انتقلت من المجتمع الذى ظلمها يوم قدمها ضحية الى ذلك الشيخ الذى لا يقدر عليها .

ومشى الفتور فى جفنيها فنامت ملء عينيها وهى تشفق وتزفر
فى انتظام ينم عن راحة تامة ، ورفعت على شفتيها بسمة خفيفة
تطوف دائما بالفارق فى حلم بهيج .

واشرقت الشمس وهى فى نومها ، لعميق ، وراح سويلم يغدو
ويروح فى الغرفة وهو يتطلع اليها فى استغراب فما كانت تنام من
قبل حتى هذه الساعة . اعتادت أن تستيقظ معه فى الفجر تعد له
القهوة وتلبس طلباته .

وتقلبت فى تكاسل وتمطت وفتحت عينيها فى فتور ، فلما وقعتا
على سويلم ابتسمت وقالت :

— صباح الخير .

فقال وهو يرنو اليها فى ريبة :

— نوم العوافى ! عيني باردة عليك .

فرنست الغطاء بقدمها ورفعت رجلها الى أعلى ، ثم قفزت من
السريр فى حركة رشيقة واصبحت منتصبية على الأرض أمامه .
وأجست فى اعماقها أن عليها أن تفسر اسباب السعادة التى تشع
من عينيها والتى تستشعرها فى كل حركة من حركاتها ، فنظرت
الى زوجها فى خبت وقالت :

— حاولت بالأمس أنك ..

ووضعت فيها على أذنه وهمست بكلمة ، ثم ضحكت ضحكتها
الممدودة الزاخرة بالنداء .. وتحركت سعيدة ، وقبل أن تغادر
الغرفة التفتت وقالت :

— أأدد الإفطار الآن أم بعد أن أستحم ؟

وقال فى صوت خافت .

— لأدعى للعجلة ، نفطر بعد أن تستحمى .

وسرت فى صدره غيره لم يدرك لها سببا .

- ٦ -

وصار يسويلم يرتبها بعين طؤها الريبة ، فقد أحس في أعماقه أنها تبدلت بعد إقبال عرفة ، وأصبحت امرأة أخرى أكثر فتنة وأشد رقة وعذوبة .

بات كلما نظر اليها ورأى إزدیاد تورد وجنتيها وفتح نفسها وسريان حياة جديدة في أوصالها ، يستشعر بالغيرة تلسع روحه وبالسبق يتبض صدره ، وبهراة تعصف بكيانه ، وبحسرة قاتلة تكاد تكتم أنفاسه :

إنها تتودد إليه توددا زاد على ما ألفه منها ، وكثر تقبيلها له ، ولكن قبالاتها تبدلت وصار لها طعم آخر . لم تعد قبالات محبومة يحس حرا، لها في روحه وان عجز عن أن يستجيب لها ، ولا قبالات مجاملة ، ولكنها قبالات فيها رضا المروى وفرحة السعيد .

كان يرى تحت عينيها مولد تعاسة أخفت ضحكات المنطلقة الزاخرة بالنداء في أن تخفيها ، بل كانت تشعلها وتزيد لها ضراما ، وقد اجتثت تلك التعاسة ونبت مكانها سعادة عارمة كدرت صفو حياته ، فقد كانت تؤسوس في نفسه باتهامات بشيعة تزلزل أرجاءه . وتثير في روحه كوامن الكراهية والبغض والغيرة .

ويذر في صدره الواهن قلق ، لم يعد يستطيع أن يستقر هادئا في مكانه ، كانت فكرة خبيثة تقرع راسه فجأة ، وصورة مقبنة تجمع بين زوجه وعرفة تحتل خياله فيفزع ويعود الى البيت مهرولا محنوما ، وينسح المفتاح في الباب ويديره في حرص ويتقدم على

أطراف أصابعه فيجدها معا في المطبخ أو في غرفة الصبي ، ولكنه لا يرى ما يشفى غليله فيضطر الى أن ينتحل عذرا لعودته المفاجئة ثم ينصرف وهو حائر لا يعرف له شائطا ، تعبت به أنواء نفسه وتلعب به أمواج مشاعره المتقلبة العنيفة .

وأحس بها ذات ليلة وهي عائدة من غرفة الصبي ، فاشتد اضطرابه وربما قلقه وخفق قلبه في عنف ، فالتصعب جالسا في سريره وقال في صوت متهدج نم عن انفعالات نفسه :

— أين كنت ؟

فلم تجفل ولم تضطرب ولم تقل أنها كانت تقضى حاجة ، بل قالت في هدوء :

— كنت في غرفة عرفة احكم الغطاء عليه .

وصعدت الى جوار زوجها المنفعل وقبلته قبلة هادئة ، ثم تمددت في فراشها وسرعان ما مشى الوسن الى أجنائها ، وراحت أنفاسها تتردد في اطمئنان وظل هو يرمقها في قلق يراوده شك قاتل ، وخطرت له فكرة أن يضبط على عنقها الجميل بيديه ويكتم أنفاسها ، ومال نحوها وإذا به يطبع على خدها قبلة .

كان يحبها من كل قلبه ، وكان في قرارة نفسه يحس أنه عاجز عن اطفاء ظمئها فكان لا يبخل عليها بشيء يملكه ويبالغ في ارضائها لعله يعوضها عما لا يستطيع أن يمدّها به ، فكان يغفر لها بعض نزواتها ، وإذا ما فعلت ما يثير غيرته انقلع مدة ، وراح خلالها يجهد نفسه في إيجاد المبررات التي تشفع لها عنده ، ويستمر في اقناع ذاته المتمردة حتى ترضى وتنقشع السحب المتلبدة في صدره .

كان هائنا قبل ورود ذلك الصبي ، ولكن صفو حياته تكدر بعد أن جاء عرفة الى البيت وأصبح موضع اهتمام فردوس ، فقد أصبح

يتقاسى وخزاً مشاعره ولسع سخريته من نفسه لغيرته من غلام أصفر
أولاده أكبر منه !

وعاد بعد الغروب كما اعتاد أن يعود كل يوم وقد وطن العزم
على أن يطرق الباب وأن ينتظر حتى تفتح له زوجه ، ففى هذا
أيحاء بالثقة فى نفسه وفى زوجته ، ولكن ما أبى بلغ الباب حتى
أخرج المفتاح وأداره فى الباب فى حرص شديد ، ودخل على
أطراف أصابعه يتلفت .

كانت فردوس فى غرفة عرفة والصبى ممدود فى فراشه وهى
تميل فوقه فى حب وتمرر يدها على جبهته فى حنان . انقبض
قلبه وأحس كأن يدا قوية تهصره هصرأ ، ومطرقة هائلة تدق رأسه ،
وظلمة من الحنق تنسدل على ذاته فتعمى وعبه ، فيتقدم مسلوب
الارادة كل ما يحسه رغبة جارفة تغريه بالبطش بهما .

وشعرت فردوس به فلم تجفل ولم ترفع يدها عن جبهة الفتى ،
بل زادت دنوا منه وميلا عليه وقالت فى هدوء :
— سويلم ، ناولنى ليمونة من المطبخ .

ووقف سويلم ينظر مشدوها دون أن ينبس بكلمة . كان غضبه
قد بلغ نهايته وكان نفسه يتردد متتابعاً فى صدره ، وقالت
فردوس :

— عرفة محموم ، أظن أنه سار مدة فى الشمس .

وسرعان ما تبخرت مخاوف سنويلم وصفا جوفه وسلم قلبه ،
فقال ناصحاً :

— صبى فى أذنيه ماء وملحاً .

فقال فردوس وهى ترفع عرفة بين يديها وتصلح الوسادة
تحت رأسه .

— آمضى به .

وذهب الشيخ الى المطبخ يذيب الملح فى الماء ، ومالت فردوس على الصبى تقبله وتضمه الى صدرها .

وعاد الشيخ بكوب ماء اذيب فيه ملح ، ومدت فردوس يدها لتأخذ منه الكوب ولكنه تقدم وراح يصب الماء فى أذن الفتى ، ولما انتهى من عمله التفت الى فردوس وقال :

— من الأفضل ان نتركه وحده يستريح .

وسار وهو يحسب أن زوجه ستبعه ولكن فردوس بقيت الى جوار الننى تزيد حرارته ارتفاعا بقبلائها .

ودخل سوبلم غرفته وأخذ يخلع ثيابه وحده وهو يستشعر ضيقا ، رذريث ولكن فردوس لم تقبل فنادى :

— فردوس .. فردوس .

تأقبلت متبرمة وقالت :

— ماذا تريد ؟

فقال وهم يشيح بوجهه عنها حتى لا ترى الكدر فى عينيه :

— أعدى العشاء .

وذهبت الى المطبخ وسرعان ما كان الطعام معدا ، وعادت الى زوجها وقالت :

— العشاء عندك .

وهبت بالانصراف فقال لها :

— ألا تأكلين ؟

— كل انت .

وانطلقت الى غرفة عرفة ، وجلس الزوج يتناول طعامه وهو

يتلفت ، حس كراهية لذلك الفتى الذى سلبه زوجته وجعله
يأكل لأول مرة وحده .

وقام الشيخ ولم يستغ طعامه ، ودخل غرفته وجلس ينتظر
عودة فردوس ولكنها ظلت الى جوار الفتى تمرضه ، فضاق صدره
ونفذ صبره ونادى فى انفعال :

— فردوس .. فردوس ..

وانتهت فردوس اليه وهى ضيقة بندائه ، ووقفت اباه وقالت
فى استخفاف :

— نعم !

نقال غاضبا :

— يربد أن ننام .

فقال وهى ترفع الغطاء عن السرير :

— السرير امامك .

فاتبعت عيناه الضيقتان وقال فى انكار :

— وانت ؟

— كيف أتركه وحده وهو مريض ؟ !

فقال فى فزع :

— اتقضين الليل فى حجرته ؟

فقالت فى هدوء وهى تثبتسم :

— وماذا فى ذلك ؟ !

— اين تنامين ؟

— على الأرض بجوار فراشه ، حتى اذا احتاج الى شيء لبيت
نداءه .

فقال الشيخ فى انفعال :

— لا ! لن يكون شيء من ذلك . . ستنامين هذا في سريرك .
وأحسست الثورة في نبراته فقالت وهي تدنو منه وتداعبه :
— لا تحزن ، سأنام الى جوارك .
وأخذت في اعداد فراش على الأرض بالقرب من السرير ، فقال
الشيخ في دهش :
— ماذا تفعلين ؟
فقالت دون ان تلفت اليه :
— سينام معنا حتى لا اضطر الى ان اذهب اليه مرارا في الليل
الأطمئن عليه .
فقال في ضيق :
— ألا تتركينه وحده في غرفته ليستريح ؟ .
فقالت وهي تدنو منه وعيناها في عينيه :
— انه مريض .
ومالت على الشيخ وطبعت على خده قبله لم يرتج لها بل
حركت وسأوسه ، بات يخشى ذلك العطف الذي تغمره به منذ قدم
غرفة الى دأره ، ومارت في جوفه انفعالات تنهش صدره ولكنه ظل
مطرقا لا تتحرك شفاه بكلمة .
وانطلقت الى غرفة وطلبت منه ان يقوم لينام معها ومع زوجها
في غرفة واحدة ، ولكنه أبى فظلت توسوس له وتغريه حتى أطاعها
وسار الى جوارها .
كانت حرارة غرفة مرتفعة قليلا ولكنه ما كان يحس ثوعكا .
ولو تركته فردوس لعكف على استذكار دروسه أو لنام ملء
جفنيه .
ودلف الى غرفة الزوجين فتظاهر بالامياء حتى خيل للشيخ

ان الفتى ينوء ، وسندته فردوس بذراعها ومالت معه وهو يميل
ليتهدد فى الفراش الميثوث على الأرض .

وراح الزوج يتلفت فى حيرة وقد ملأ الحلق صدره ، وتحرك
حيأوه فتملكه خجل من أن ينام الى جوار زوجة وفتى غريب معهما
فى غرفة واحدة .

وذهب الى المصباح وخفت ضوءه ، ولو طأوع نفسه لكتف
أنفاسه وترك المكان فى ظلام دامس حتى لا يراه الفتى اذا التصق
جسمه بجسم فردوس عفوا ، وحتى لا تقع عيناه على ساقها
اذا انحسر البغطاء عنهما .

وسار الشيخ نحو السرير وقد تقاصرت نفسه ، وصعد اليه
فى حرص وخفة ، وأخذ يتمدد هونا حتى لا يئن السرير ويبلغ
أنيته مسامع الفتى الراقد على بعد أمتار منه .

رمدت فردوس يدها وتناولت قميص النوم فخفق قلب الشيخ
فى شدة ، واستولى عليه هلع خشية أن تخلع ثوبها فى الغرفة
وتتلف نصف عارية تحت بصر ذلك الذى شاركه غرفة نومه رغم
أنفه . وفكر سريعا فيما يفعله لو همت بخلع ثوبها دون أن يلفت
نظر الفتى ، فقر ربه على أن يقفز من سريريه وأن يدنعه أمامه وهو
يحجبها بجسمه عن الراقد على الأرض ويجرفها أمامه حتى تخرج
من الغرفة .

وتحركات فردوس وقميص النوم فى يدها وغادرت المكان ،
فغفر الشيخ فى راحة وان ظلت أعصابه متوترة ، ومريت لحظات
من الصمت عادت بعدها فردوس وقد ارتدت قميص النوم وفى
يدها ثوبها .

وعلفت الثوب فى المشجب وذهبت الى السرير وصعدت فيه

ونامت فى الطرف الذى يطل على عرفة النائم على الأرض ، وابتعد الشيخ عنها واستقر على الطرف الآخر .

وراح الوقت يمر ، وانتظم نفس الشيخ ثم راح يغط غطيطا ، فرفعت فردوس وسطها وجعلت تنفّس فى وجهه وتيقنت من نومه ، رآكنها أرادت أن تتأكد أنه راح فى سبات مهزته هزا خفيفا واصلحت وضع رأسه على الوسادة ، فحفت شخيرته وان ظل تغارقا فى النوم .

ونحت الغطاء عنها فى خفة ، وانسلت من جواره كما تنسل الأفعى وعيناها لا تفرقان وجهه ، ثم رقدت على الأرض الى جوار عرفة وانسدل عليها غطاء واحد .

— V —

عاد سويلم الى البيت قبل اذان المغرب فقد احتلت فكرة اختلاء فردوس وعرفة والشيطان ، فأحس ضيقا وقلقا ووحشا قاسيا ينهش جوفه ، ولم يستطع أن يصبر على قسوة مشاعره فانطلق مغزوعا مكروب النفس الى الدار .

ووضع المفتاح فى حرص واداره فى اناة ودقات قلبه تدوى فى اذنيه ، وفتح الباب وقبل أن يتقدم خطوة وقف مشدوها حائرا يفرك عينيه بظهر يده ليزيح الغشاوة التى انسدت فجأة على عينيه ، خيل اليه أنه رأى فردوس وعرفة يبتعد أحدهما عن الآخر فى فزع ، وراح وهمه يؤكد له أن فيها كان على فيه ، ولكنه لم يكن واثقا من اتهام أوهامه فقد خآنة بصره ، لم ير شيئا واضحا ، كل

ما أحسنه حركة سريعة لا يدري ان كانت حثيثة أو وهما من
الأوهام .

وتقدم خطوات وريبة قاتلة تستولى عليه ويدا قوية تهصر
مؤانده . مر بين فردوس وعرفة وهو عابس الوجه ، ولم يلق
عليهما ندبة ولم ينبس بكلمة وقد أسبل جفنيه على عينيه ، خشى
أن يشع سره على أحدهما فيفلت منه زمام نفسه ويتدفق السباب
والإتهام من فمه دون وعى .

يدخل غرفته وفردوس فى أثره ، وأحس أنباب يغللق عليهما
قريبا تلقى . وزاد اضطرابه لما تقدمت فردوس منه وأخذت تعاونه
على خلع ثيابه وهو يتحامى أن تلتقى عيناه بعينيها .

وجلس على مقعد قريب من السرير يفكر فى حقيقة مشاعره
الثائرة بين جوانحه ، وهو يتطلع الى فردوس من بين أهدابه
فيحيره ذلك الهدوء الذى يغشاها . وكادت النار المندلعة بين
ضلوعه تذوب والهواجس التى تمور فى أفوار تسكن ، ولكن
فردوس تقدمت منه وطوقته فى دلال وقبلته ثبله طويلة لم يستشعر
حرارتها ولكنه أحسها سنا زعانا يسرى فى بدنه .

وسرت فيه قشعريرة وهاجت وسائسه وتضخمت ريبته ،
وزادت النار المشتعلة فى جوفه تأججا وراح هاتفا من نفسه يؤكد
له ان ما رآه حقيقته وقعت وليس وهما من الأوهام .

وأخذت فردوس تتحدث وتضحك ضحكتها الممدودة الزاخرة
بالنداء وهى لا يعى مما تقص شيئا ، فقد كان مستغرقا فى المشاعر
المنبثقة فى أغواره مصفيا لوسوسات الاتهام .

وقالت فردوس :

— ساعد العشاء .

وخرجت من الغرفة وهو غافل عنها ، وإن كانت أفكاره

ومشاعره وخلجات نفسه وخفقات قلبه ركزت أضواءها عليها ،
وراحت نحاول جاهدة أن تهتك الظلمة التي تغلفها لتبدو حقيقتها ،
عارية بلا أستار .

ومر الوقت دون أن يشعر به ، كان في شبه غيبوبة فقد فاضت
مشاعره حتى غمرته وكاد يفقد الاحساس ، وأفاق على صوت
فردوس وهي تقول :
— تفضل .

وقام صامتا وسار الى حيث وضعت البطيخة ، وقبل أن يجلس
ارتفع صوت فردوس ينادى :
— عرفة .. عرفة .. تعال .

وخيل للشيخ أن في صوتها رقة وأن له نغمة خاصة حانية
وأنه زاجر بالانفعالات ، وأن نطق اسم الفتى نم عن مشاعر كثيرة
كامنة في أعماق النفس الغامضة ، فاضطرب الشيخ حنقا واستبد
به الاسى .

والتفوا حول البطيخة وامتدت الأيدي الى الصحاف ، وساد
الصمت وراح الشيخ يرصد حركات الزوجة والفتى من بين أهدابه
المسبلة ، والتفت عينا فردوس بعيني عرفة أكثر من مرة .. كانت
نظراتها غابرة لا تفصح شيئا ، وتظاهر الشيخ بالانشغال عنهما
بورك الدجاجة الذي كان يعالجه بيديه ، وانتهزت فردوس الفرصة
ورمرت بعينها لعرفة في خفة ، ولمح الشيخ ما فعلت فأحس كأن
خنجرا سد الى قلبه وتقيحت نفسه حتى خطر له أن يلقي بها في
يده في وجهها ، وأن ينقض على الفتى ينشب أظافره في صدره .
وراحت نفاحة آدم النائثة في عنقه تتحرك صاعدة هابطة ..
كان يجاهد في ابتلاع ريقه الذي جف ، وعامت نفسه الطعام فطلق
ينظر زائغ البصر دون أن تتحرك يده .

وفطنت مردوس الى انه لا يأكل فمرمته برهة ثم قالت :
— لماذا لا تأكل ؟

وأرادت أن تداعبه فقالت له :

— إملك تزوجت وأكلت عند زوجتك الثانية !

وضحكت ضحكتها الممدودة الزاخرة بالنداء ، وابتسم عرفة
وغض من بصره خشية أن تلتقى عيناه بعيني الشيخ ، وأحس
الشيخ قهرا ولم تتحرك شفتاه وإن كانت ألفاظ السباب القاذرة
تتدفق مع أنفاسه دون أن تخرج من فمه .

وابتعد عن الطبلية ، وقالت زوجه وهى تشير الى صفحة بها
عسل نحل :
— كل عسل .

ورن فى أغواره صوت ساخر يردد : « كل عسل مع الناس ..
كل عسل مع الناس » ، فانتفض وانتصب واقفا ليطرد ذلك الصوت
الذى يخزه وخزا قاسيا ويلهب روحه بسياط الاستهزاء ، وانطلق
الى غرفته وطفق يفدو ويروح وهو يشهق ويثر فى صوت
مسهوع .

وراح صوت هادى يعيد على مسامعه قصة الشيخ الذى
شكا اليه تلاميذه سوء سلوك زوجته الجميلة ، وظلوا يزينون له
الانفصال عنها حتى طلقها وزوجه امرأة شريفة بهيمة . وجاءوا
اليه بعد مدة يسألونه رايه فى الزوجة الجديدة فقال لهم : كنت
أكل عسلا مع الناس فأصبحت أكل الزفت وحدى . ورن فى أغوار
سويلم الصوت الهازى « كل عسل مع الناس » فثارت نفسه ،
وأخذ يمرر يده على وجهه ليمسح المشاهد البشعة التى بدأت
تتشكل فى ذهنه .

وأحس سويلم احتقارا لذلك الشيخ الذى سمح لنفسه ان

تعترف بأنه كان يأكل العسل مع الناس ؛ كيف رضى لنفسه هذا
الهوان ؟ كيف رضى ابن يهرغ شرفه فى الوحل فى يسر ؟ وراح يسب
ذلك الشيخ ويلعنه كأنها كان واقفا أمامه ، وسرعان ما استشعر
تقصيرا فقد خيل إليه أنه يسب نفسه .

وتلبدت ربيبة وأوهامه فى صدره واشتدت نفثته قتلها ، غانها
فى خياله فردوس وعرفة ضربا ولطما وصفعا ، وأخذ يلتقط
أنفاسه فى جهد كأنها يلتقطها من ثقب إبرة .

ودخلت فردوس الغرفة وأغلقت الباب خلفها ، واتجهت الى
زوجها الذى كان يتحاشى أن تلتقى عيناه بعينيها وقالت :

— أنت مشغول البال الليلة ، فيم تفكر ؟

فقال دون أن يلتفت اليها :

— لرا قبل عرفة فى بيتى بعد هذه السنة .. لن اقبله أبدا .

وطارت نفس فردوس شعاعا وقالت فى خوف :

— لماذا ؟

— لأننى لا أطيق أن أرى رجلا غريبا فى بيتى .

فقالت فردوس وهى تجمع شتات أمرها :

— رجل ؟ .. غريب ؟ .. انه طفل .. تلميذ فى مدرسة ،

وسيطل طفلا حتى يتم دراسته .

فقال مسويلم فى انفعال :

— انه رجل ، ولو تزوج الأنجب أولادا .

فقالت فردوس فى تحد وقد افانقت من المباغطة وملكت زمام
عواطفها :

— وحتى اذا كان رجلا فسيظل فى بيتى ، انه قريبى ولن اقبل

ان يقال اننى ضقت بقريبى وأوصدت بابى دونه .

— وأنا لن أقبل أبداً أن يقال إن بابى مغلق على زوجتى ورجل غريب .

— لا تقل « غريب » . انه قريبى . . ابن خالتى .

— انه ليس ابن خالتك ، وحتى لو كان ابن خالتك ألا يحل لك ؟!

— ولكننى فى عصمة رجل .

واحسر هوانا ، فما كان يثور هذه الثورة لو كان ما يزال شاباً ولكنه شيخ ذابل جفت ينابيعه وهى ظمآنه . أن غيرته تزيد غضبه ضراماً فقال فى انفعال :

— لن يعود نعمة الى دارى بعد هذه السنة . . لن تطلأ قدمه بيتى . . هذا قرارى .

فقال فردوس وقد اتسعت عينها :

— اذا أصررت على ألا يعود سأذهب معه .

— ماذا تقولين ؟ تذهبين معه ؟ !

فقالته وهى تتظاهر بالانكسار :

— نعم ، سأذهب معه حتى يعرف أهلى اننى غلبت على امرى وأن هذه مشيئتك .

وفسأفتها فكرة بعد عرفة عنها فاجهشت بالبكاء ، وقالت فى عبارات نذرتها العبرات :

— أو كان قريبك ما فكرت فى طرده ، ولكنك تطرده لانه قريبى ، لآنك تريد أن تذلتى بين أهلى .

وصاحت وهى تبكى تدافع عن حياتها الجديدة التى تعلقت بها والتى يتهددها الدمار :

— لن أقبل هذا الذل أبداً . . لن أقبل هذا الذل أبداً .

ورأى الشيخ الدموع المنهمرة على خديها فالجهم لسانه وان

كانت انفعالاته الفائرة تمور فى اغواره ، وسار مطرقا نحو السرير
وصعد اليه واستلقى على ظهره وشرد ببصره ينظر الى عروق
الخشب فى سقف الغرفة . وصدره ينتفخ كالقربة ثم ينكمش كمثانة
انفجرت فجأة .

وانسلت فردوس الى السرير وهى تبكى ، ونامت وقد اعطت
ظهرها لزوجها اعلانا لخصامها وعدم رضائها عنه . واستمرت فى
نحيبها وهى تتعمد أن يكون مرتفعا ليصل الى مسامع الزوج ويفعل
به افعيله .

وراحت خلجة رقيقة تنبض فى جوفه ، ثم تحركت مشاعره
الرواقص تتقدم فى حنان فى صدره لتطرد من امامها احساسات
الاسى . . وصفت نفسه وانصمت بالركة ، وخطر له أن يهد يده
يمسح دموعها وأن يضمها الى صدره ولكنه راح يتقاوم هذه المشاعر
حتى لا يبدو امامها ضعيفا مهالكا .

وتلهل فى رقاده ودنا قليلا منها وهم بأن يمرر يده على
شعرها فى حنان ، ولكنه كبح زمام رغبته . . وراح الوسن يداعب
عينيه ماطبق جفنيه واستسلم للكرى .

وكفكت فردوس دموعها واستشعرت رغبة جامحة تستبد
بها ، انها تحن الى ذراعين قويين تلتفان حولها وصدر حنون
يحتويها وانفاس حارة تذيب المشاعر الثقلة المنبعثة فى اعماقها .

ونظرت من فوق كتفها الى الشيخ الرائد الى جوارها فالفته
يفظ فى نومة ، فانسلت من جواره فى خفة ، وسارت على اطراف
اصابعها وهى مسحورة بالاحساسات الاناعمة التى تدغدغ حواسها
والقلق الشهى الذى يدب فى روحها والوهم الكبير الذى كان
يقودها .

ودلغت الى غرفة عرفة وقلبها يدق دقا رقيقاً ، ودماؤها تتدفق حارة فى عروقها ، وشبه غيبوبة تغمرها ، وأزتمت على الفتى لقنوب فيه وتطمئن الى انه معها لا يفرق بينها وبينه شيء .

ومر الزمن يطوى فى جوفه أسرار البشر ، وتقلب الزوج فى سريريه وأحس انه يتقلب فى حرية دون أن يرتطم جسسه بجسمها أو تحتك قدمه بساقها ، ومد يده يتحسس غلم بجد الا فراغا ، ففتح عينيه مغزعا ودق قلبه فى عنف وتدفقت انفعالاته فى ثورة ، وأدار عينيه فى المكان وهو زائغ البصر ، فلما لم يجدها انبهرت انفسه وغادر السرير وهو يكاد ينهار من الكمد .

وتقدم وقلق شديد يجتاحه وريبة قاتلة تزلزل كيانه ، وخوف من المجهول يستبد به ومشاعر ثقيلة تجثم على صدره ، وبلغ باب الغرفة نالفاها قادمة تصلح ثيابها ، منكوشة الشعر متوردة الخدين حافية القدمين ، فقال لها فى صوت متهدج مضطرب :

— أين كنت ؟

فناالت دون أن تضطرب :

— فى دورة المياه .

والجسم ولم يجد ما يقوله فذهب الى حيث وضعت القتل ، ورمع قلة وجعل يتجرع الماء منها فى صوت مسنوع ، وأحس الماء البارد يجرى فى جوفه ولكن لم تنطفئ النار المندلعة فى حناياه .

وعاد الى فراشه وهو يحاول أن يبدو هادئا ، ولكن الإنكار البشعة وجدت مرعى خصيبا فى رأسه فراحت تتضخم وتضغط عليه فبين أنينا مكتوما يدمى روحه ويزيد أساه .

ورادت أوهامه تؤكد له انها كانت هناك فى غرفة عرفة بين أحضان الفتى ، فأحس كأن طعنة خنجر سددت الى قلبه .. والتفت

أنيها في حلق مألهاها مسجلة العينين مستسلمة للنوم الهاديء اللذيذ
منظمة الأنفاس ، فريا ضيقه وثبتت أنظاره على عنقها الطويل
ونحرها العاري وراودته فكرة أن يقبض بيديه على عنقها وأن
يضغط عليه حتى يزهيق روحها ، ولكنه راح يطرد الفكرة من رأسه
.. انه يحبها .. يهواها .. يريد لها لنفسه خالصة .. انه عرفة
الذي ينبغي أن يبعد .. أن يزال من طريقه .. أن يختفي من
حياتها .

وطفق يفكر في عرفة وفيما يفعله به ليتخلص منه ، وثبتت في
رأسه أنكار كثيرة راح يقلبها ويقارن بينها ، وأخيرا ارتاح الى
فكرة بعينها لموطن العزم على انفاذها .

- ٨ -

التي عرفة ورقة الامتحان على انكسول وخلع ثيابه وارتدى
جلبابه المخطط وارتدى في الفراش وأرخى لخياله العنان ، فلم يفكر
في الأيام الباقية على انتهاء امتحان آخر السنة ، ولا في رفائق
المدرسة ولكن شغلته رأسه دارهم المتواضعة في القرية ، وإمه
الجالسة في ركن من القاعة تعد الطعام وأخوته حولها يتصايحون ،
وأبوه وهي مقبل من عملة والشمس تلفظ آخر أنفاسها ، وصوت
مؤذن القرية يؤذن بالمغرب يدعو الناس الى الصلاة والأوبة الى
دورهم .

وثبتت في جوفه مشاعر رقيقة واستشعر حينها الى اهله ،
مفحق قلبه شوقا وانتابه ضغف فغص وترقرقت الدموع في مآقيه

مراح يستنحها بظهر يده فى راحة ، وقد استسلم للأفكار اللذيذة النابضة فى ذهنه .

وانغم بالشوق وتحرك ليفعل شيئا يطمئن به مشاعره الهائجة لمغادر فراشه وراح يصر حوائجه فى « البقجة » التى جاء بها من قريته وهى مشبع بالغبطة ، يتمنى أن تطوى الايام الباقية سريعا ليعود الى حياة القرية التى يشتهيها .

ودلفت فردوس الى الغرفة ووقفت ترتبه مليا وهى تعجب ، وراحت تتسائل فى نفسها عما يدفعها الى تجهيز حوائجه وابامه حتى ينتهى امتحانه ثلاثة ايام طويلة ! ان دقائق قليلة كفيلة بوضع كل ما يملك فى الصرة .

وهمس فى ذاتها هامس يستال : ايسافر الى اهله عقب انتهاء امتحانه مباشرة ؟ اتركها للظلم بعد أن وجدت عنده ما يروى غلتها ؟ واذا اراد أن يسافر أتركه أم تغريه على البقاء ؟

ما الذى يغريه على العودة ؟ ألا يجد عندها ما لا يجده فى داره ؟ انه ينعم بغرفة وحده ، ويأكل كل يوم طعاما ما كان يأكله الا فى الأعياد ، ويسعد بها ، الا يكفيه كل هذا ليبقى ؟ !

وأحسست ضيقا . . فطنت من حركاته انه يتعجل الزمن ليركها ، آه لو ذهب لصارت حياتها فراغا . انها لا تطيق أن تتصور أنه سيركها . ليتها تجد عذرا تنتحل له لتعود معه الى القرية ، او ليت ستؤلم بغضب منها ويأمرها أن تذهب الى أهلها فتطلق معه سعيدة لا تفارقه حتى تنقضى اجازته !

ان هذا الفتى ملا حياتها . . اذاثها ما لم تذقه طوال سنين زواجها . . خفق له قلبها خفقات شهية . . شغفت به حبا . اكانت تصدق انها ستتهيم يوما بصبي لما يتجاوز الخامسة عشرة !

وتقدمت منه وقالت وهى تبتسم :
— من يراك وانت تصير ثيابك يحسب انك مسافر الساعة ؟
وسرعان ما غاضت ابتناسمتها ، كان رنين صوتها فى جوفها
مقبضا فتالت فى صوت فيه أسى :
— لماذا هذه العجلة ؟
فقال عرفة وقد شرد ببصره بعيدا :
— احس شوقا عظيما الى امى وابى واخوتى بل الى جدران
دارنا ، اتمنى ان اغمض عيني فأجد نفسى بينهم .
فرنت اليه بعيون مفتوحة ، وتحركت عقارب غيرتها ولم
تستطع ان تكبت مشاعرها ففالت فى عتاب :
— وأنا ؟

فنظر عرفة اليها نظرة بلهاء ، لم يفهم ماذا تريد فقال فى
حيرة :
— ماذا ؟

فالت فى صوت متهدج :
— هل ستذكرنى ؟ هل ستشتاق الى ؟
فقال دون أن يضطرب أو تطرف عيناه :
— طبعا .

وكان كاذبا فى قوله فلم تخطر له على بال لما فكر فى عودته
الى أهله ، ولم يستشعر حسرة لأنه سيخلف وراءه شيئا يحبه .
انها دخلت حياته كما دخلت الفتيات اللاتي عرفهن قبلها ، لقد كان
لها سحر أول عهده بها ولكنها لم تترك فى قلبه اثرا ، لم تزد فى
نظره عن فتاة لعب معها لعبته المفضلة ثم عاد كل منهما الى بيته .
احس نحوها مرة احتقارا وفكر فى أن يفر منها ، ولكن حتى

ذلك الاحساس تبخر وصارت بالنسبة اليه شيئا يقضى معه لحظات
مترة بالمتعة الجسدية ثم يمر كل ما أحسه مرور الانفاس التي
دخلت رئتيه وخرجت منها دون أن يذكر من ذلك شيئا .

ورن صوته في أذني فردوس زاخرا بالرياء ، لم يكن له
تهديدات اضطراب المحبين ، ولم يكن له ذلك الطعم اللذيذ الذي
كانت تتذوقه لما كان يهمس لها بالفاظ تافهة أول عهدا به .
واستشعرت ضيقا وامتألت رغبة في أن تنتزع منه اعترافا بحبه
فقالت له :

— اتجنبي ؟

وارهفت حواسها ، كانت تتمنى أن يقول لها انه يعبدها وانه
لا يستطيع أن يعيش بدونها ، ولكنه قال في بساطة :
— فليعبد .

وثارت مشاعرها وسرت في بدنها رعدة ، وانسدلت على
عينها غمامة فلم تعد ترى شيئا وغمت حمليها احساساتها ، وأرادت
أن تقضى على ذلك القلق الذي تفجر في أعماقها فتقدمت اليه وضمت
الى صدرها وراحت تثبلة في نهم وانفعال ، وسرعان ما استجاب
لندائها .

وعادت الى غرفتها هادئة وتمددت في فراشها وقد أسبلت
عينها في استسلام وبدأ الوسن يداعب جفنيها ، وإذا بسؤال راح
يتدسس الى رأسها « هل الاستجابة دليل الحب ؟ » وشغل تفكيرها
بالسؤال والاجابة عنة ، وراحت توهم نفسها أن استجابته لها
دليل على حبه ، ولكن وساوس الشك كانت تبطل الأوهام .

وبانت ترجح بين أفكارها حائرة ، لم تكن واثقة الا من شيء
واحد هو أنها تحبه وأنها تتمنى أن تقضى ما بقى من عمرها معه .

آه لو كان أكبر من سنه وقادرا على أن ينفق عليها وأشار لها بأصبعه أن تتبعه ، لفرت معه دون تردد أو تفكير فى مقبلة ما تفعل .

وجاء الليل وأغلق باب الغرفة عليها وعلى زوجها ، فراحتمسح به وتداعبه وتضع قبلاتها حيثما تقع ، فأوجس سويلم خيفة وأخذ يتأهب لستباع رغبة جديدة من رغباتها .

ولفت ذراعها حول رقبته وأسندت رأسها على كتفه فراح شعرها بداعب خده الخشن الخائر ، وقالت فى صوت منكسر مشحون بالركة والرجاء :

— سويلم : اشتقت الى أهلى أريد أن أزورهم .

فقال سويلم فى ثبرات هادئة :

— هل لك أهل غيرى بعد أن ماتت أمك ومات أبوك ؟ ألم تقولى لى أنك أوى وأنتى أمك وأبوك ؟

فقالته وهى تزداد التصاقا به :

— أنتى الخير والبركة ، ولكننى احن الى زيارة قبر أبى وأمى .

ورؤية خالتي وأبناء خالتي .

— وهل زارك أحد منهم ؟

فقالته فى صوت حاله :

— ألح يبعثوا الى " مرة " .

وأحس كأن خنجرا صوب الى قلبه ، وإذا بخاطر يزحف الى رأسه يهمس بانها لا تبغى زيارة قبر أمها وأبيها ولكنها لا تطلق فراق الفتى . تريد أن تكون معه ، فاهتز كيانه وانتقبض صدره وثارت مشاعره وهم بأن يصيح فيها ، ولكن ضغط احساساته الشديد حسس صوته وكاد يكتم أنفاسه .

وكانت فردوس تهيم في أمانيتها فلم تحس انفعال الرجل المنصق بها ، وقالت وهي شاردة ببصرها وذهنها معا :

— ستأسافر مع عرمة وسأنتظر حتى تأتي لتأخذني ، ما أجمل هذا ! سيعيد أيام سعادتي .. سأحس تلك الاحساسات الغامضة اللذيذة التي كنت أحسها في الأيام الحلوة التي سبقت زفافنا .
وانفجر رجل غضب الزوج فقال وهو يبعدا عنه بكتفه :
— لن يكون هذا أبدا .

وأماقت من حلمها فنظرت إليه بعينين مفتوحتين وقالت :
— لماذا ؟

فقال والغيرة تنهش مؤاده :
— قلت لك أنني لا أريد عرمة في بيتي ، ولا أحب أن تكوني في مكان يكون فيه عرمة .
— لماذا ؟

فقال في أعظم :
— لأنني أكرهه .. أمقته .. أبغضه .. لا أحبه .
وضاقت الدنيا في عينيها ، وتحركت مشاعر كثيرة متباينة في أغوارها فانفجرت قائلة :
— لماذا ؟

أحس كأن سوطا هوى على وجهه ، فقال وصدره يعلو ويخفئ :
— لأنه .. لأنه ..

ولم يستطع أن ينطق الكلمة التي ملأت رأسه وغمة ومزقت كيانه ، فذهب واقفا وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو يرتجف بحس كأنه سينفجر ويتطاير أشلاء ، ووجدت فردوس الفرصة

مواتية لاثارتة وارغامه على اهانتها لنجد في ذلك تكة لفضيها
وعودتها الى اهلها ، فقاتلت وهي تقف في طريقه متحدية :

— لانه ماذا ؟ قل .

فقال وهو يزيحها بيده من طريقه :

— كفى .. اسكتي .

فقاتلت في عناد :

— لن اسكت قبل ان اعرف ماذا يدور في رأسك .. قل لانه

ماذا ؟

فقال في ضيق :

— اوه .. والله ان لم تستكي لاذهبن اليه الآن واكنم انفسه .

وكان يذرع الغرفة في طريقه الى الباب ، فأسرعت مردوس
دون تفكير الى الباب تسده بجسمها وقد عزمته على ان تقاوم
زوجها اذا ما فكر في مغادرة الغرفة ، ولكنه ظل غاديا رائحا وهو
يقول في حنق وهو يصرفه انيابه :

— احاقطله .. ساقطله يوما .

وجعلت مردوس ترصد حركاته دون ان تنبس بكلمة وقد
أوجست منه خيفة .

- ٩١ -

كان الوقت ضحى والشفقة هادئة لا يسمع فيها الا وسوسة
أساور وارتطام نحاس بنحاس بين لحظة وأخرى وخير ماء ،
فقد ذهب سويلم الى دكانه ، وانطلق عرفة الى تأدية امتحانه ،
ودخلت فردوس تغتسل .

كانت فردوس تستنجم عقب ان تهب من نومها وتبل ان تعد طعام
الافطار نزوحها ، ولكنها قرأت فى عينى زوجها ريبة ووخزها مرأت
بكلمات مغلقة بدعابة نطقت بالثبك الذى يساوره ، فصارت تنتظر
حتى يخرج وتولى وجهها شطر الحمام .

وانقضت فترة صمت طويلة ، كان الكول فى يد فردوس ولكنها
لم تمده ابتلاء من الطست الموضوع تحت صنبور الماء فقد شردت
ببصرها تفكر ، لم يبق الا يومان على سفر عرفة تعود بعدها الى
حياة الحرمان والجفاف ، ولن تعرف الحمام الا يوم الجمعة لتزيل
عرق الاسبوع وتبدل ثيابها التى اتسخت .

وطافت بها سحابة من الأسى ، وريت سحاب الحزن وتراكمت
لما تذكرت أنها لن تستطيع أن تذهب الى عرفة فى قريتهم اذا هزها
الشوق اليه ، فقد كانت ثورة زوجها عارمة لما طلبت منه أن تزور
أهلها . انه يشك فى العلاقة التى بينها وبين عرفة ، وانه ليهم بأن
يلقى الاتهام فى وجهها ولكن كبرياءه تاجم لسانه .

قال لها مرارا انه لا يطيق فراقها ، وبأطالما عبر لها عن حبه .

انه صادق فى مشاعره ولكن رقة الكلام ما كانت بقادرة على
اخماد أنفاس الغول الذى غذاه عرفة بشبابه فزاده ضراوة
ووحشية .

وتدسست الى رأسها فكرة : اخلت الدنيا من الرجال ولم يعد
فيها الا عرفة ؟ ! اذا سافر عرفة فما أكثر الرجال الذين يتمنون أن
ينالوا ما ناله عرفة ، ولم تفزعها الفكرة ولم تحاول وأداه وان
أحسست عذم راحة ، كانت فى أعماقتها تفضل أن تدوم علاقتها بالفتى
وان تقتصر عليها .

وفكرت فى سويليم واذا بالعجب يملؤها ، لماذا يغار كل هذه
الغيرة لجرد شكه بأن هناك شيئاً بينها وبين عرفة ؟ انه لم ير شيئاً
أنكره ولكنه أحس احساساً غامضاً عذمه ، ولكن لماذا يتعذب ؟ ان
عرفة لم يسلبه شيئاً ولكنه استعمل ذلك الشيء الذى لم يعد هو
بقادر على استعماله . وتبل أن تستريح الى الفكرة وخزها واخز
من نفسها راح يسألها أكانت تحس ما يحسنه زوجها لو كانت أكبر
منه سناً وهام زوجها على وجهه يلتقط لذاته ؟ واستشعرت ضيقاً لما
صاح فيها صائح أنها ما كانت لتغفر لزوجها ما يفعله وان كانت
هى غير تادرة على تلبية رغباته . . انها طبيعة البشر .

ومدت يدها بالكوز فى عصبية تملؤه وصوت يدوى فى أعماقتها :
« هذا ظلم . . هذا ظلم . . ما كنت لأختار هذا الطريق لو كان
يُزوجى ثنابا . . ظلم . . ظلم » . « ماذا يفعل سويليم لو رآنى بين
أحضان رجلٍ غيره ؟ . . يقتلنى ويقتله . . سويليم يقتل ؟ ولماذا
لا يقتل ؟ لقد قال لى : والله أن لم تستكنى لأذهبن اليه الآن واكتم
أنفاسه . . انه لو خانتنى زوجى مع امرأة لقتلته وقتلتها . . أستحق
القتل ؟ . انا أستحق القتل ؟ ! هذا ظلم . . ظلم » .

ونهضت ترتدى ثيابها وهى تعجب من نفسها وتتساءل عما جعل رأسها يجيش بكل هذه الأفكار وما كانت تفكر فى شيء من ذلك ، وما كانت لتندم على ما تفعل ، وما كانت تحاسب نفسها ، أهيجت أمكارها أشباح الوحدة التى تترقبها بعد ذهاب غرفة ؟ إنها لا تدرك . كل ما تدركه أنها ضائعة قلقة حائرة مضطربة .

وأصغت رغبة فى البكاء وانبثقت دمعتان فى عينيها ، ولكن لماذا تبكى ؟ ! إنها تستشعر رهبة .. رهبة من شيء غامض . إنها خائفة وما كانت تعرف الخوف من قتل ، إنها لتساق من جوار زوجها فى هدأة الليل لتذهب الى غرفة دون أن تختلج فيها خلجة رهبة ، فما بالها تضطرب الساعة وليس هناك ما تهابه ؟ !

وجففت رأسها بالمنشفة ، وكورت شعرها ثم لفّت المنشفة حول رأسها فبدت كالعمامة التى تلف على شتاه الضريح ، وفتحت باب الحمام وقبل أن تجتازه سمعت طرقا على الباب فصاحت :
— حاضر .

وذهبت الى الباب وفتحته فالتفت أم نعيم تنظر اليها طويلا وتلتهم عبثا المضعضتان ببريق خبيث ، وتنفرج شفاتها من غم ليس فيه الا ناب واحد طويل ، ثم تقول :
— نعيما .. صباحية مباركة .

وقالت مردوس وهى تفسح لها طريقا :
— أنعم الله عليك .. تفضلى ..

وتقدمت أم نعيم فى خطوات بطيئة .. كانت ترتدى جلبابا أسود فضفاضاً وعلى رأسها طرحة سوداء صار لونها زيتونيا ، وظهرت محالفاها من تحت المنديل الذى تعصب به شعرها ببيض ناصعة . إنها فى السبعين من عمرها ومع ذلك لا تقر فى بيتها ،

تنتقل من بيت الى بيت حاملة الاسرار التى تبعثرها هنا وهناك .
لذتها الوحيدة أن تسمع وأن تنقل ما تسمع وأن تزيد على ما تنقله
ما شاء لها خيالها ، وما كانت تلتفت الا الفضائح والمصائب
والمعائب .

وتلفتت وقالت فى حسد :

— ربنا يمتعك بشبابك .

وانفجرت شفتاها عن نابها الطويل وقالت :

— والله قلبى يحبك لأنك يتيمة مثلى وبنت حلال ، روحى الله
يسترك دنيا وآخره يا فردوس يا بنت زكية .

ووصلنا الى غرفة عرفة ودلفنا اليها ، وجلست أم نعيم على
الأرض ومالت فردوس عليها تحاول رفعها وهى تنقسم قائلة :

— والله قوسى وجلسى على الكعبة .

— وحياة النبى اللى زرتة أنا مرتاحة .

— اترفعى يا شيخه .

— مرتاحة والنبى ، روحى الله يريحك ويسترك دنيا وآخره .

وجلست فردوس امام امرأة الكسندول ورفعت المنشفة عن
رأسها وأخذت تسرح شعرها الاسود الطويل ، وأم نعيم ترمتها فى
حسرة تحاول أن تغريها بنظراتها ، وقالت :

— اية .. ذهبت أيامنا . كانت أياما جميلة ولو انها كانت
قصيرة . كان المرحوم لا يترك شعرى يجف أبدا ، ما أن أخرج من
الحمام حتى يعيدنى اليه مرة ثانية ، كنت أحب أن أصلى ولكن ما
كان يترك لى وقتا للصلاة .

وضحكت فردوس ضحكتها المنغمة الزاخرة بالنداء وقالت

— أما كان له عمل غيرك ؟

- فقال أم نعم وهى تلوح ذراعها :
- كانت دكانة تحت البيت ، وكان كالمكوك صاعدا هابطا ..
- لم يكن آدميا .. كان وحشا .
- وصمت أم نعيم قليلا ثم قالت :
- الله يرحمه ويجعل أراضيه الجنة .
- فقال فردوس وهى تضحك :
- اطمئنى انه من أهل الجنة .
- فقال أم نعيم وهى ترمقها فى استخفاف :
- وما أدراك ؟
- لانه مات شهيدا .
- فقال أم نعيم فى ضيق :
- مات وتركنى صغيرة .
- ولماذا لم تتزوجى بعده ؟
- قلت أعيش للولدين ولا أتهرهما ، حرمت نفسى وريبتهم
- ولما كبرا تزوجا وتركانى وحدى ، آه لو كنت أعرفت ما أهدرت
- شبابى .
- فقال لها فردوس وهى ترمقها فى المرأة :
- أأناذمة على ما فعلت ؟
- فقال أم نعيم فى حسرة وإن نظاهرت بالمزاح :
- لو كان فى رأسى عقل ما قبلت أن أعيش بلا رجل حتى تجف
- عروقى .. روحى الله يملك فى عمر العم سويلم ويروى لك
- عروقك .
- ومالت فردوس برأسها وضحكت ، وراحت أم نعيم تتجوز
- فى الغرفة بعينيهما فرأت جلاباب عرمة معلقا ، فالتصت عيناها
- ببريق خبث وقالت :

- أما زال العم سويلم عرقا ؟
فقالت فردوس وهي تنهض :
— انه عرق ولكنه ليس وحشا كزوجك .
وعادت أم نعيم تنظر الى جلباب عرفة وقالت :
— نعمة .. احمدي الله عليها ، ما جئت لزيارتك الا ووجدتك
خارجة من الحمام .
وصمتت قليلا تغالب الكلمات التي تتراقص على لسانها ، ولم
تستطع أن تكبحها ولكنها غيرت اتجاهها قالت :
— وكيف حال عرفة ؟
ونظرت فردوس اليها تتفحصها في زينة فالفهنا مطرقة ، انها
تعرفها داهية تريد أن تجرّها الى ما تبغى للدور بقصتها مع عرفة
على بيوت الجيران ، فراحت تتحدث في روية وتزين الكلمات قبل أن
تنفوه بها قالت :
— بخير . وسيسافر بعد غد ليعود الى اهله .
— ولماذا هذه العجلة ؟
— وما الذي يبقيه بعد انتهاء الامتحان ؟ !
وأسبلت أم نعيم عينها .. كانت هذه عادتها كلما وخزت
وخزة كأنها كانت تخشى أن تكشف عيناها سريرتها ، وقالت :
— يساعد العم سويلم في الدكان .
وهبت بأن تقول غ انه لا يزال صغيرا ، ولكنها أحست أن
العجوز ستسخر من قولها ، وانها قد تنفذ من ذلك الى السؤال
عن سنه والى الحديث عن قدرته على انجاب الاولاد ، فوجدت
أن الصمت اسلم فلم تنبس بكلمة وتحركت تنشر المنشفة .
وضايق أم نعيم ذلك الصمت وعاظها تهرب فردوس من

الخوض فى هذا الحديث ، ورات ان تمرج على حديث آخر فيه
غمز قد يهود بها الى الحديث عن عرفة ، فقالت :

— المم سويلم رجل طيب وابن حلال ولكنى فى حيرة من
أمره هذه الأيام ١٥١

ولزمت الصمت لتثير فى فردوس رغبة تكشف سر الزوج ،
وسرها انها نجحت فى خطتها لما رأت فردوس تقبل عليها وتقول
لها فى اهتمام :

— وماذا أنكرت من أمره ؟

فقالت أم نعيم فى صوت فيه رنة أسى بتكلفة :

— متتيره مع سرحان .

— سرحان من ؟

فقالت أم نعيم وقد أسبلت عينيها :

— الا تعرفين سرحان ؟ انه يعيش على قتل الناس .

— يعيش على قتل الناس ؟

— نعم . من له غريم يؤجره لقتل غريمه .

— ومتى يتأبله سويلم ؟

— ان سرحان كالخفاش لا يفادر بيته الا بعد أن تغيب

الشمس ١٥٢

— وأين يسكن ؟

— فى البيت المتهم المجاور للفرن .

— أى فرن ؟

— الفرن الواقع خلف دكان المم سويلم .

وهمت بأن تسألها عن العلاقة بين زوجها وسرحان ، ولكنها
حزرت كَرَّ شيء . قال لها سويلم انه سيقتل عرفة يوما وها قد جاء

اليوم ، أوبر مجرماً لمقتلة .. ولكن لماذا لا يقتلها هي ؟ ! انه أعجز من أن يفعل ذلك .. انه يحبها .. يهواها .. يريد لها خالصة له . وتفتحت نفس أم نعيم ، سرها أنها غرست في نفس فردوس القلق ، وزّاد في سرورها تلك الأفكار التي راحت تتجمع في رأسها حول فردوس وسويلم وعرفة ، ستجد قصة مؤيرة تدور بها على بيوت الجيران ، وضاعف من غبطتها أن القصة تروى فضيحة جنسية وهي تشتهى كل حديث يقودها الى الجنس حتى تفرق فيه .

وانطلقت أم نعيم تتحدث وفردوس لا تفقه من حديثها شيئاً ، كانت مشغولة بالتفكير فيما تفعله لتتخذ عزمة .

- ١٠ -

فاض تلقى فردوس بعد أن تيقنت من أن حياة عرفة في خطر ، لقد دفعت الغيرة الشيخ الى أن يكثرى رجلاً ليتخلص منه ، وراحت الأفكار تتزاحم في رأسها .. كانت تقلب الرأي فيما تفعله لتتخذ الفتى فخذ عزمته على ألا تقف مكتوفة اليدين .

دار بخلدها أن تجابه سويلم بأوهامها ، تقول له انه أجز سرحان لبغتيال عرفة فلا يسعه الا أن ينهار أمام المفاجأة . سينكر ما كبر ويتملص من التهمة ويعمل على تجريد مؤامرتة بعد انكشاف أمره . ولكن ماذا يكون الموقف لو أخذته العزة وثار وحطمها فيما يحطم ! ماذا لو ألقى في وجهها اتهاماته وطلقها وراح يوسع الأرض إذاعة بما بينها وبين الفتى ؟ ! لا . ان محاولة الوقوف

فى وجهه سويلم الحائد الفائر المطعون ليست بالراى . ولكن
ما الراى ؟ اترك الفتى يقتل ؟

وارتجفت وثارث دماؤها حارة فى عروقتها وزاد خفقان قلبها ،
وراح يهمس فى نفسها هامس يقول : اھون على ان افضح من ان
يقتل عرفة . ليت الناس كلهم يعرفون ما بينى وبينه ويترك
لى ! .

وراحت تذرع الغرفة وهى مطرقة ، وتدسست الى راسها فكرة
الذهاب الى سرحان فى وكزه وتهدهه بانها على علم بما هو مقبل
عليه ، وان حبل المشنقة ينتظره لو أصيب الفتى بمكروه ، ترى
ايرضخ مجرم لهذا التهديد ؟ وماذا تفعل لو سخر منها وقال لها
انها لا تستطيع ان تثنى به لان معنى ذلك وقوفها امام الحكمة
واعلان فضيحتها على الملأ . ستقول له انها لن تخشى الفضيحة
بعد قتل عرفة ، فلن يكون لها شيء بعده .. واذا لم يخضع
لتهديدهما وقتله لماذا تفعل ؟ اثنى به ؟ وما الذى ستجنيه بعد
قتل عرفة ! .

— « لا ، لن يقتل عرفة ، لن اتركه للموت أبدا ، سالتمس
من سويلم ان يتركه لشبابه ، واقسم له اننى لن احاول ان اعيدہ
الى البيت أو اذهب الى قريتنا ، اقبل سويلم هذا ؟ ، لن يقبله . انه
يشك الآن وحسب ، وانه ليقدم على القتل لمجرد الشك .. وأن
توسلى الية سيؤكد أوهامه .. الويل لى ماذا افعل ؟ » .

وراحت تقطع الغرفة جيئة وذهابا وفى وجهها حيرة وفى
راسها انكار كثيرة وفى قلبها قلق وخوف ، وبدأ اليأس يتسرب
الى كيانها فاستقر رايها على ان تذهب الى سرحان فى وكزه
وليكن ما يكون .

وارتدت ثوبا اسود فضفاضا واسدلت على وجهها ثعابا

أسود ، وانطلقت مأخوذة تحس كأنها تعيش فى غيبوبة ، ولولا ضربات قلوبها الشديدة لحسبت أنها فى حلم من الأحلام .

وانسابت فى الطريق وقد وسعت من خطوها ، فالمشاعر المتفجرة فى صدرها تدفعها دفعا فى سيرها ، واللهفة على مقابلة سرحان ومجابهة المجهول الذى يترقبها ووضع حد للخوف الذى يفتاقها تغريها على التقدم فى حباسة ، وأن تلقى بنفسها فى المعركة .

كانت غاية إمانيتها أن تخرج منتصرة ، أن تنقذ عرفة دون أن تضطر الى إعلان فضيحتها على الملأ ، أنها تعيش الساعة لهذه الأمنية فإذا أخفقت فى ثنى سرحان عن عزمه فليس أمانها الا أن تذهب مع عرفة ، مضحية ببيتها وسمعتها ، مشاركة إياه فى الخطر الذى ينتظره ، لن تتركه أبدا يلقى الموت وحده .

ووصلت الى القرن فتبهلت وراحت تثلفت زائفة البصر ، وثبتت عينها على البيت المتهدم بجوار القرن فكاد قلبها ينخلع من بين ضلوعها وتسمرت فى مكانها برهة ، وظافت بها رغبة فى أن تولى الأدبار ولكنها أدت ضعفها وتقدمت من صدى صفيير وقالت له وهى تشير الى البيت المتهدم :

— أهذا بيت سرحان ؟

فقال الصبى وهو يتفرس فيها فى دهش :

— نعم .

— وأين يسكن ؟

— فى أول غرفة على اليمن .

— أهو موجود الآن ؟

— نعم .

— وحده .

— أظن ذلك .

ولت اطراف شجاعتهما ومشت صوب البيت المهدم والصبي يرمقها فى استغراب ، وهبطت فى درجتين وسارت فى دهليز رطب مظلم انبعثت منه روائح روث البهائم ، وبلغت أول غرفة على اليمين فوقفت قليلا حتى تعتاد عينها على الظلام وحتى تلتقط انفاسها .

وطرقت باب الغرفة فى اضطراب ، ومرت لحظات كلها قلق ، وأخيرا افتتح الباب ، وإذا برجل طويل عريض الكتفين عارى الصدر غزير الشارب يملأ فراغ الباب ويتطلع اليها فى استغراب ، تسرت فى بدنها رعدة ، ولكن سرعان ما قبضت على مشاعرها بيد من حديد .

وظل سرحان ينظر اليها مليا يحاول أن يخترق ببصره ذلك النقاب المنسدل على وجهها ، ثم قال وهو يفسح لها طريقا :
— نفضلى .

وتقدمت خافقة القلب ، ودارت بعينها فى المكان فلم تجد الا هراشا قذرا كوم على الأرض ومقعدين من مقاعد المقاهى الخشبية الطويلة العالية ، وذبالة علقت فى مسمار دق فى الحائط .

وأغلق الرجل الباب وتقدم وهو يمسح شفتيه بأصبعه كأنها يمسح لعبا سال ، وأشار الى المقعد الخشبي السليم وقال :
— تفضلى .

وبقيت واثقة منتصبة وقالت :

— أنت سرحان ؟

فقال فى زهو :

— نعم فى خدمتك .

فقاتلت في انفعال :
— جئت احذرك من تنفيذ ما اتفق عليه معك سويلم .
فقال لها في انكار :
— من انت ؟
— هذا لا يهمك .
— وما الذي ادراك بما بينى وبين سويلم ؟
فقاتلت وقد اتسعت عيناها وراح صدرها يعلو وينخفض :
— ان اصاب الفتى بمكروه فسنتقل .
نضحك في استخفاف وقال :
— لم يخلق بعد الذي يقتلني .
وامسكت خصلة من شعرها وقالت :
— أقسم بهذا أنك ستقتل اذا قتل عرفة .
فقال في انفعال :
— من ذا الذي يقتلني . . انت ؟ عشت حتى رايت امرأة
تتوعدنى !
واحسنت أنها بدات تملك ناصية المعركة فقاتلت في ثقة :
— اذا كان سويلم قد دفعك الى هذا بماله فانا نستطيع ان
اغرى رجالا على قتلك بنفسى ، ما أكثر الذين يتطوعون لقتلك لقاء
ليلة معى ! .
وصمت كأنها التم حجرا ، وراح ذهنه يعمل في سرعة ،
فاحس طلائع هزيمته ، ورأى أن يستقل الطرف ليقرب اندحاره
نصرا فدنا منها وقال وهو يبتسم في حبث :
— أنا على استعداد أن أقبض الثمن الآن وان أنتقض اتفاقى
مع سويلم .

ومد يده ليجذبها اليه ويضمها الى صدره ، ولكنها دفعته في
قوة فقال في حق :
— أترغضين ؟
— نعم .

— لماذا ؟ مادمت على استعداد لدفع الثمن ، فما الفرق بين
ان تدفعيه لى او تدفعيه لغيرى .
— لأننى لا أثق فيك .
— أقسم لك أننى سأنفذ اتفاقنا .
وعاد اليها مرة اخرى ليضمها اليه فدفعته في شدة وهي
نقول :

— حذار ان تدنو منه .
فقال في غضب :
— ائذن سيقتل ، ولن أحرم رجلا من ان يقضى ليلة معك .
فقالت وهي تتجه الى الباب وتفتحه :
— لن تقدر . . لن تستطيع .
وخرجت وهي تعجب من نفسها .

— ١١ —

استيقظ عرفة في البكرة وارتدى ثيابه وجعل يغدو ويروح
في الغرفة يتعجل الزمن ، ويرئو الى حقيبتة الصنفاء والصرة
الموضوعة على الكسول فيمتلىء نشوة ، فلن ينقضى اليوم حتى
يكون بين امه وأبيه وأخوته .
وجلس على حافة فراشه وشرذ ذهنه ، فرأى نفسه بعين

خياله يقدم لأمه قطعة القماش السوداء التي اشتراها لها
فيفيض وجهها بشرا ، ويعطى الأخوته الذين التفتوا حوله اللعب
الريفة البسيطة المتواضعة التي خططت بالأحمر والأبيض فيتعالى
صياحهم فرحا ، ويهدى لأبيه سبحة سوداء فيدعو له بالهداية .
وسرت الحماسة في صدره فنهض وعاد يذرع الفرقة جيئة
وذهابا ..

وجاءت فردوس تدعوه لتناول الطعام فألفته قد ارتدى ثيابه
وتأهب لاسفر فالتقطت ، ساءها لهفته على الذهاب ، انه
لا يريدنا .. لا يحس بها .. يتعجل اللحظات لينطلق ، انه
سينساها .. لن يذكرها بينما هو في خيالها لا يريم . وقالت
في مرارة :

— لماذا هذه المجلة ؟ الساعة الآن السابعة ولن يتحرك
القطار قبل العاشرة .

— أحس شوقا طافيا الى أهلى ؟ ليتنى أذهب الآن .
واستولت عليه فكرة الخروج فأتجه الى حقيبة يحملها ،
فقالته :

— ماذا تفعل ؟

— انى ذاهب الى المحطة .

— لا زال أمامك ثلاث ساعات ، انتفض ثلاث ساعات تنتظر
القطار ؟

فقال وهو يبتسم :

— لن أضجر أو أتململ ، ساكون راضيا بما دامت رحلتى قد
بدأت .

فقالته وهي تملأ عينيها منه :

— نعال أنظر ثم افعل ما تريد .

وسار غرفة الى حيث وضعت الطلبة ، وسارت فردوس

خلفه وهي منتبضة يملأ جوفها قلق وخوف وحزن وانكسار .
ووقعت عينا عرفة على سويلم الجالس الى الطنبلية فحياء
وجلس ، وجلست فردوس وهي مشغولة بالانكار التي اخذت
تدفق الى راسها والمشاعر التي راحت تزحف من هنا وهناك
ويضيق بها صدرها .

فكرت في ذهاب عرفة الآن نحبذا: فذلك يضيع على سرحان
فرصته ، اذا كان ما زال مصرا على أن يصرع الفتى . انه
سيترى له قبل موعد القطار بقليل ، فاذ ما انطلق الساعة
فسيفلت من قبضته ، وقررت أن تغرى عرفة بالذهاب فقالت
لزوجها :

— عرفة يريد أن يذهب الآن .

فقال سويلم دون أن يرفع رأسه :

— لا ، قلت لعلوية أن يجهز « الكرتة » ليوصله الى المحطة .
فقال عرفة :

— بمشكرا يا عمي ، ولكنني أفضل الذهاب الآن على تدمي

فقال سويلم وهو يجاهد أن يبدو هادئا :

— الشر شديد اليوم .

فقالت فردوس وهي تنظر في قلق :

— ما زلنا أول النهار .

فقال سويلم وهويده يده الى الطعام :

— لا أحب أن يصتاب بضربة شمس في اليوم الذي سيمود فيه

الى أهله .

وهمس في نفس فردوس هامش يقول : ولكلك تحب أن

يصاب ببلق ناوى والا يعود الى أهله .

وساد الصمت وشغل كل منهم بافكاره من كل ما حوله :

كانت فردوس تفكر فيما تفعله لو عاد عليوة وقال أن عرفة قد

قتل . انتهم زوجها بقتله ؟ وماذا ستجنى من هذا الاتهام ؟ ستخسر عرفة والزوج معا ، واذا اتفقت معها ولزمت الصمت فكيف تعيش مع رجل تعرف انه قاتل ، وقاتل من ؟ عرفة .

ووسوس في جوفها صوت يقول : وهو . . كيف يعيش في بيت واحد وقد لوثت شرفه ؟

وهب صوت آخر يصيح فيها : لا ، انه يشك وحسب ، انه ليس على يقين ، فلو انه رأى شيئا لما بقى معى لحظة ، اما انا فاننى واثقة من انه هو المحرض على قتل الفتى .

وخطرت لها فكرة أن تنهض وترتدى ثيابها وتنطلق مع الفتى الى المحطة تحميه ، ولكنها فطنت الى أن سويلم لن يوافق على ذهابها ، سيسببه رغبتها ويرفضها رفضا . وظلت غريسة للأفكار المتباينة الزاحفة الى رأسها دون انقطاع .

وشرد سويلم بخياله وتمنى لو أن عرفة سافرت ليلا ، اذن لكان قتله أيسر ، ولكنه أخذ يطمئن نفسه أن سرحان لا يابة بليل أو نهار ، انه مكر يقتل في الظهيرة ويروغ كاللعاب .

واختلس نظرة الى الفتى الذى حكم عليه بالاعدام ، فماذا بغضبه يتحرك ودماءه تثور ومقته يسرى في عروقه كالصديد ، وتعفنت روح الشيخ فلم تنبت فيها خردلة من شفقة .

وظل عرفة مهال الأساير . . انه يرى أمه وهى تضمه الى صدرها الحنون ، وأباه يربت على ظهره ، وأخته يلتفون حوله يصفون آية وهو يسرد عليهم حياة البندر . ويرى الطرق الضيقة الحبيبة الى نفسه ، والحقل والساقية ورفقاء صباه وحمرة الشفق ساعة الغروب .

كانت نفسه مسرحا لحنين رقراق ظاهر ، وحنان ملائكى

لا يدنسسه رغبة جامحة ولا لهفة على نثاة من فتيات القرية اللاتي كن يشاركنه لعبته المفضلة ، فقد كان غارقا في الجسد يهفو الى غذاء روحى بعد ان نضبت ذخيرته من احساس الحب العفيف .

وانتهوا من افكارهم وعاد عرفة الى غرفته ينظر الى حقيقته وصرّة الثياب في شغف ، تراوده فكرة ان يحملها وينطلق ، ولكنه كان يعنصم بالصبر حتى لا يفضب الشيخ في آخر يوم له في بيته .

وراح الوقت يمر ونيدا ونيدا ، وكل من عرفة والشيخ وفردوس يتعجل مروره ليقضي على التوتر الذي يعيش فيه ، واخيرا ارتفع رنين جرس « الكرّة » فتفتحت نفس عرفة فرحا ، وانقبض صدر الشيخ ، وانخلع غواذ فردوس هلعاً وكاد يفلت منها زمام امرها وتند منها صرخة .

واسرعت فردوس الى غرفة الفتى تودعه وقلبها يرفرف بين ضلوعها كجناح حمامة ، وقابلته وهو مقبل وقد حمل حقيقته وصرته فاستشعرت رغبة مستبدة تغريها بضمه وتقبيله ، ولكنها قاومت تلك الرغبة وقالت في صوت متهدج تخنثه العبرات .

— مع السلامة .

وافسحت له الطريق ووقفت ترنو اليه من خلال دموعها التي انبثقت ملاً مآقيها ، ولم تعد ترى شيئا فمسحت عبراتها بظهر يدها ، ورائته وهو يتجه الى باب الشقة فأسرعت اليه وهمست :

— الا تودع العم سويلم ؟

ووضع الحقيبة على الأرض وانطلق الى غرفة الشيخ ، وقال وهو يمد له يده مصافحاً :

— من اذنك يا عمى ، القالك على خير .

وصالح الشيخ الفتى فى فتور وهم بأن يقول له : « مع السلامة » ، ولكن حرارة مقتته صهرت الكلمات فتبخرت على شفثيه ، ولم يظطن عرفة الى وداع الشيخ الفاتر ولم يابه به ، وعاد مسرعاً ليحمل حقييته .

ومر بفردوس وهو يكاد لا يحس بها ، وحمل حقييته وسار واذا بفردوس تسرع وتفتح لثة الباب ، وما أن يخرج منه حتى تتبعه وتجذب الباب خلفها وتخف اليه وتقبله قبلة خاطفة وتقول : — مع السلامة .

وطلق عرفة يهبط فى السلم خفيفاً يحس احساس السجين الذى يغادر سجنه لأول مرة ، ووقفت فردوس عند رأس السلم تنظر اليه وفى قلبها لوعة وفى نفسها حسرة وفى عينيها دموع ، ولم تستطع أن تكبح جهاج عواطفها ف راحت تنشج بصوت مسموع .

ووضع عرفة حقييته وصرته فى « الكرنة » وقفز الى جوار عليوة خفيفاً ، وملاً رئتيه بالهواء ثم زفره فى راحة وقال ليظمن نفسه :

— الى المحطة .

وانسابت « الكرنة » ضوب المجهول .

وعادت فردوس الى حيث كان سويلم ، كان القلق ياديا عليها تطرق ثم ترفع رأسها وتتلفت وتأخذ فى التملل ، ولا تلبث أن تنهض وتغدو وتروح فى الحجرة دون أن تفعل شيئاً ، ثم تعود لتجلس وتطرق وتتلفت ، ولولا انشغال الشيخ بالأفكار الطاغية التى تتدسس الى رأسه والمشاعر القاسية المزمجرة فى ذاته لظطن الى اضطرابها .

ولم تعلق المكث فى الغرفة . فقامت وانطلقت الى غرفة لها

شباك عنى الطريق وراحت تنظر من خلاله شاردة ، وقد نبتت
فى رأسها هواجس كثيرة . راحت تتسائل عما تفعله اذا . عاد عليوة
وصاح ان عرفة قد قتل . انجرى فى الشارع محلولة الشعر تصيح
كالمجنونة ؟ اتردى عليه ثياب الحداد ؟ انقول لزوجها انها تعلم
انه هو المحرض على قتله ؟ انتقم لعرفة وتقتل سويلم ؟ اننفذ
وعيدها لسرحان ؟ لقد اقسمت بخصلة من شعرها ان سرحان اذا
اُسيب الفتى بمكروه ، فأين ذلك الرجل الذى يقدم على قتل سرحان
لنساء ليلة معها ؟ ! .

واحسنت ان سرحان سيسخر من تهديدها لتقاصرت نفسها
واحسنت رهبة تكاد تكتم انفاسها ، ولكن ايقدم سرحان على القتل
بعد ان يثقن اننى اعرف نواياه ؟ الا يخشى ان يدفعنى الياس الى
البوح بكل قىء ؟ آه لو ركب سرحان رأسه وركبت رأسى ! .

واحسنت حركة خلفها فالتفتت فرأت سويلم قد اتبل شاردة
وذهب انى الشباك والى نظرة فاحصة على الطريق ، فقد جاء
يتنصم الاخبار مثلها ، وكلاهما كانت آماله معلقة بعودة عليوة وان
تباينت الآمال كل التباين وتنافرت الرغبات .

وساد بينهما صمت قاتل ، حتى كان كل منهما يخشى ان يسمع
الآخر دقات قلبه وصوت أنفاسه ويقرأ ما فى نفسه من مشاعر
وأفكار ، وراح الزمن يستير سير السلحفاة فيزيد من الآلام الجائفة
على صخريهما ، ويوسع فى هوة الهلع التى حفرت فى أعماقهما .
وارتفع رنين جرس « الكارتة » فذهبت نفسها شاعا
واتسمت ميونهما رعبا وانبهرت أنفاسهما ، وأحس كل منهما انه
يكاد ان ينهار .

ووصلت الكارتة الى البيت ، ولم سويلم اطرافه اجتماعه واطل

من الشباك وهو يحمل نفسه على ذراعيه حملاً ، وقال فى صوت
أجش مضطرب :

— هية يا عليوه ؟

ورفع عليوة رأسه وصاح فى صوت هادئ :

— وصلته بالسلامة ! .

وتبخرت مخاوف فردوس وزحف الاطمئنان فى جوفها ، ثم
راحت فرحة تعزى فى أعبائها ، ولم تقو على كبت مشاعرها فذهبت
الى زوجها تهنئه وتقبله .

وأبعدها سويلم عنه فى عنف ، ووقفت فردوس ترقبه وعلى
شفطتها بسمه وأساريرها منبسطة ، فقد سرها نجاه عرفة
وانتصارها على سرحان . وتدفقت الدماء حارة فى عروق الزوج
وعصفت به ثورته ، فاذا به يمد يده الى كرسى قريب ويرمعه ثم
يهوى به على رأس فردوس ، وترنحت فردوس وسقطت على
الأرض ، والكرسى يرتفع فى الهواء ليهوى عليها . واستمر سويلم
يضرب ويضرب حتى صارت الفاجرة جثة هامدة ، وهو
مستمر فى ضربها دون أن يحس مما يفعل شيئاً .

واجحة الخيال

عزیزى خیرى :

هذه الرسالة ليست بنت اليوم .. راودتنى منذ ذلك اليوم .
كنت ادخل غرفتى واغلق على بابى واتهيا للكتابة ، ولكنى كنت
كلما جلست الى القرطاس لأبتك لواضع نفسى احسنت خجلى
يقوم حائلا بينى وبين تستطير ما احس ، فما كان لفتاة ان تبعث
الى شاب لا يعرف عنها شيئا — وان كانت تعرف منه كل شيء —
برسالة تشكو له فيها ما تقاسى من وجد ..

ظل ذلك الخجل يتهرنى حتى ليلتى هذه ، فقد دخلت الى
غراشى بهدان اطمأنتت الى عودتك من متهاك ، وحاولت النوم
ولكنى أرنت ولم تغبض لى عين ، وتقابت فى غراشى كأنما أتقلب
على جبر ، فقد تأمر على خيالى فأحضر صورتك امام عيني فى
شكول توجج النار فى الفؤاد ، فطفت احساسات الحب فملأت
صدرى حتى كادت تكتم انفسى ، فلم أجد لها مفسا الا أن أقوم
فى هجمة الليل لأسكب شواظ القلب على رسالة ابعث بها
اليك ، لعل نارى تبرد وتلبى الذى أضنأتى يهدا والخيال الشارد
السارح بجناحيه ، فيدثر نفسى القلقة الخائرة هدوء وان كان
هدوءا الى حين ..

رايتك يا حبيبى أول مرة بعد ظهر يوم لن انساه .. كنت
 ذاهبة الى طبيب الأسنان وكنت عاتدا من عملك ، فما وقعت عيناى
 عليك حتى تملكنى احساس غريب ، شعرت بروحى تهفو اليك ،
 وانطلقت فى طريقى وما ابعدت خطوات حتى تلفت خلفى برغى
 لامتع العين برؤيتك ..

وانتهت زيارتى للطبيب وعدت الى البيت ، فجلست فى الشرفة
 استروح نسيم الاصيل ، ونجاة شعرت كأن جناح حمامة يخفق فى
 جوفى .. كان قلبى يضطرب . رأتك عيناى وانت مقبل من دارك
 منطلق الى الميدان ، فقفز قلبى فى سرور الولهان ..

تبعتك بعينى مضطربة النفس ، حتى اذا اختفيت عن ناظرى
 ظل قلبى يتبعك ، وانقضى النهار واقبل المساء وانا أفكر فيك . وجاء
 اوان مغادرتى الشرفة وتحركت لادخل الى غرفتى ، ولكن لم
 يطاوعنى قلبى ، لم يشأ أن يغادر الشرفة قبل أن يطمئن الى
 أوبتك . مرت من الليل سماعات وانا جالسة ارسد الطريق ، فاذا
 لمحت شبحا قاذبا حسيبته انت فتسرى فى بدنى رهبة لذيذة ، وطال
 مكثى وما تسرب الملل الى فقد كنت مفعمة بالنشوة ، لانى ارقب
 عودة رجل خفق له القلب ..

علمنى حبك يا حبيبى أن الظلام مرتع خصب للخيال ، وراحت
 الأوهام تنمو فى فكرى وتزدهر فى نفسى ، فتنتشى روحى ويرضى
 فؤادى . ونجاة اشتد وجيب قلبى .. رآك فى حلقة الليل قبل أن
 تبهرك عيناى ، وبقيت اتبعك بنظرى حتى اختفيت ثانية فى الظلام ،
 فغادرت الشرفة وانا أحس خفة وانسراحا .

صارت الشرفة مأوى ، فى الصباح أهرع اليها لاستجلاء

ظلمتك ، وفى الظهر أنتظر عودتك ، وعند الاصيل أرتب خروجك الى مقهاك ، أما الليل فكان مسرح الاحلام ..

فكرت مرة فى أن اتبعك لعلى أستطيع أن ألت نظرک الى ، فارتدیت ثيابى قبل موعد خروجك عند الاصيل ، ووقفت فى شرفتى قلقة تتجاذبنى خواطر متضاربة تترجح بين الاقدام والاحجام ، ولحقت نادما فاندحر ترددى ، ووجدت نفسى اهرول وانطلق كأنما كنت واقعة تحت تأثير منوم مغناطيسى ، وهبطت الدرج قفزاً ووصلت الى الطريق وقلبى فى حيرته واضطرابه ، واحسست رهبة تسرى من قمة رأسى الى أطراف أصابع قدسى .. مشيت فى بدنى رعدة وتدفق الدم حاراً الى وجهى ، وثلثت بعيون زائفة فالفيتك تسير أمامى ، فاعذت سبرى حتى اذا اقتربت منك ضيقت من خطوى كان قوة خفية أرغمتنى ، وتبعك على البعد كأنها كنت منجذبة اليك ، حتى اذا لمحتك تدخل مقهاك وثلثت أدنى اليك النظر وأنا بسعيدة ، ثم عدت راضية من حيث جئت .

وفى يوم تقابلنا وجها لوجه ، ولا اكذبك القول فاقول انها مجرد مصادفة ، فما أحب وأنا أعترف لك بحبى أن اكذب عليك ، كانت هذه المقابلة ثمرة تدبير فكرت فيه لىالى وأياما ، يا طالما قابلتك فى الحياة وهممت أن أبسم لك كما فعلت فى الخيال ، حتى جمداً وجهى وعزاً على الابتسام ، فكرت فى أن أدعوك .. إن أهتج باسمك ، وتمتحت فمى وأطبقتة ولم يتبعك منه صوت ، تحطمت الالفاظ على شفتى فعدت الى البيت حائقة على نفسى ، وثار قلبى على ماخذ يخرنى وخراً ما أقساه ..

ومرت على ليلة ليلاء .. ليلة لن أنساها ما كليت ، جلست

فى الشرفة أرقب عودتك وكان الظلام يرخى ستوره السود والسكون
يسيطر على المكان ، فراح خيالى يرتع حرا طليقا ينعم بأعذب
الرؤى والطفة التخيلات ، ومر الوقت ووافى ميعاد أوبتك فأرهفت
منى الحواس ، وجعلت أتفرس اشباح الغادين لأطمئن الى
مودتك ، وانقضت ساعة ثم ساعة ولم تقع عليك عيناي ، فتحرك
قلقى وثابت نفسى واستولى على " ضيق " ، وزاد فى كرىبى أن
هجس فى صدري هاجس جرح روحى راح يوسوس لى أنك تنعم
اللحظة بحبيبة الفؤاد اذ كنت انتظرك وقد اندلع فى جوفى نار .

تحركت عقارب غيرتى وراحت تأسعنى لسعنا ، واحسنت
جمرة نار فى حلقى وعبرات تخنقنى وحنقا يلفنى ، وتمنيت بكل
جوارحى أن تعود لأتجو من ذلك العذاب . ولكن الوقت راح يمر
ولم تلمحك عيناي ، فخطر لى أن أنسل فى هدوء الليل الى مقهاك
أنقب منك حتى أستريح من حواسى التى تأمرت عنى ، ولكنى جئنت
عن تنفيذ ذلك الخاطر الذى طفق يلح على " بإزاره القلب الواله
البحران ..

وبرد الجو وصفرت الرياح ، فمشت فى جسمدى قشعريرة لم
ألتفت اليها .. كنت شاردة فى تيه الخيال غارقة فى بحور
الأفكار ، وأشرف الليل على الانقضاء وأنا فى مكانى ، وأخيرا
انسملت من الشرفة محطمة النفس مهيضة الجناح .

وأشرقت الشمس وتسملت الى غرفتى ، وما أن فتحت عينى
ورأيت الضياء حتى شعرت بخوف يسرى فى صدري خشيت أن
يكون ميعاد خروجك الى عملك قد انقضى وكتب على " الا تكتحل
عيناي ذلك اليوم برؤيتك . هممت بالنهوض لأغادر فراشى وأنطلق
الى الشرفة ، وأكنى شعرت بثقل فى جسمى عاقنى عن النهوض ،

فحسست جبهتي بيدي فألفيتها تكاد تنصهر .. لقد سقطت فريسة
للحمى وما طمئنت الى هذه الحقيقة حتى ارتجفت ، لم ارتجف لمرضى
بل خشية أن أهذى باسمك فيتبدى مكنون نفسي ، وينفضح سر قلبي
الذي انبثت عليه ضلوعى وطويت عليه صدري ..

ولازمت الفراش وراحت الدقائق واللحظات تمر ونيدة بخيضة ،
ومادني طيفك في ساعات صحوى فائمش روحى وأرضى مؤادى ..
وفى يوم من أيام مرضى لججت في التفكير فيك ، وأخذت أناجيك
حتى غلبى النوم فرحت في سبات ، وفيها أنا غارقة في نومي رأيت
كانها أنا وانت في حديقة رائعة تفتحت أزهارها وغنت أطيافها ،
تخطر خلفها على زرع أخضر بهيج ، وقد انسدل شعري على كتفى
فأخذ النسيم يداعبه ، وانت ترنو الىّ في عطف ..

ولحننا نهرا فهرولنا اليه مسرورين حتى اذا بلغناه الفيحاء من
لجين ، ووجدنا زورقا رائعا زين بالزهر والياقوت انتثر فيه الورد
والياسمين ، فركبنا فيه وأخذنا نجذب في البحر العجيب ، وقد
سرى صوت سماوى أخاذ يغنى بأعذب الألحان فعبث بقلبنا ، فملئنا
نشوة وفاضت سعادتنا فالتصق رأسا ..

والتفت الىّ وفي عينيك حب ، ولغفت ذراعيك حولي وضممتني
إليك ، ولم أستطع أن أحتمل السعادة التي كنت فيها فاستيقظت
خافقة القلب مرهفة الاحساس ، وما أن هدأت مشاعري حتى أخذت
أفكر في حلمي اللطيف ، منشحة الصدر راضية النفس مسريرة
العين ..

وكأنما كان ذلك الحلم الحبيب اللسم الشافى لمرضى ، فما
أشرقت شمس النهار حتى أبليت ما كنت أتأسى ولكنى لم أبرأ من
حبي ، فما ملكت قواى حتى هرعت الى الشرفة خافقة الفؤاد أرقبك
في الغدو والأصال ، وظففى حبي وفاض فلم يعد يسعني جوفى ولم

بعد يقتنع بسسبحات الخيال ، وطمع في ان يفسر الحبيب
بالاحساسات الفؤارة ..

اننى اكتب اليك وليس لى على نفسى سلطان ، قهرنى حبي
وتمرد على قلبى واستبد بى وارهننى حتى ارغمنى على ان اكتب
اليك ، فنزلت على حكمه مقهورة وان كان فى ذلك طعنة لكبريائى
فجلاء ..

القلم يرتجف بين اصابعى ، وقلبى يطفو ويغوص ويملى على
كلمات ، والعرق البارد ينثني من جبينى . ليتنى استطيع ان اعصى
ما يامر به قلبى ولكن هيهات ، فما هى ذى يدى تستطر ما يمليه
الفؤاد .

سأنتظرك عند محطة الترام فى الميدان فى الساعة الخامسة
من مساء يوم الخميس ، ولن اذكر لك عنوانى حتى لا تعتذر اذا كنت
لا تستطيع ان توافينى فى ذلك الميعاد ، فاني اريد ان احيا الايام
وانا سعيذة يداعبنى امل لقياك ، والى ذلك اليوم المرتقب اتمنى
لك ولنفسى اسعد الاحلام ..

(فتحة)

وطوى خيرى الرسالة وهو نشوان يحس خدرا لذيذا ، فما
دار بخلداه ان هناك من تحبه هذا الحب العارم الجبار . كانت
حياته محدبة قبل ان تصل اليه هذه الرسالة الحارة فما كان ممن
يتقيئون ظلال واحه الخيال . كان يضرب فى منحراء الحياة محدود
الامال ولكن ما ان قرأ هذه الرسالة حتى شرده بصره وفتحت فى
رأسه ابواب التصورات ..

راح يفكر فى فتحة ومن تكون وما شكلها ، وتفقد ذهنه فراح
يجلب له ممثلات السينما الحبتان ، فيستعير لفتحة من هذه
قوامها .. ومن تلك نصارتها .. ومن ثالثة عينها النجلاوين ..

ومن رابعة صدرها الفاتن الرائع ، واسترسل في تخيلاته حتى
تجسمت فتحية في ذهنه نموذجاً للحسن والجمال ..

وخرج الى الطريق وسار يلفت يمينا ويسارا ، وفوق وتحت ،
ويتفرس في الشرفات .. فلمح أكثر من فتاة جذابة تصلح أن تكون
صاحبة الرسالة النابضة بالحب والحياة ، فطفق يوزع ابتساماته
هنا وهناك لعل ابتسامة منها تكون من نصيب فتحية فتتزل السكينة
بالقلب اليلهان ..

وخطر له أن يحيى من في الشرفات الممتدة على جانبي الطريق
بكلتا يديه كما يفعل الزعماء والأبطال ، فابتسم لذلك الخاطر
الساخر الذي اقتحم عليه خياله في هذه اللحظة الحاسمة من
لحظات حياته ، لحظة التنقيب عن الجميلة التي فتحت له قلبها
قبل أن يطرقه ، ووهبت له السعادة والحب ..

انطلق وهو يحس كأنها بعث خلقاً جديداً .. انه محبوب وما
أسعد أن يكون المرء محبوباً ، وتدفتت في عروقه دماء حارة بما أحس
حرارتها قبل يومه ، وسرى في صدره أمل حلو أتعشه وأحيا نفسه
من الموات ..

ولمح في شرفة من الشرفات فتاة جذابة مبشوقة القدر دقيقة
الخصر ، تهدل شعرها الكستنائي المتزوج مأخفى في دلال جزء من
وجهها النحلو الناصع البياض فزادها حسنا ، وبدت ذراعها
البضتان كأنها خرطتا من الشمع ، فحقيق قلبه لجمالها الأسر الذي
بلعب بانقلاب ويعبث بالرجال ..

وقف يرنو إليها مذهولاً ، وبقي مدة ثم انتبه الى نفسه وراح
يلفت حوله ، فرأى رجلاً مسنناً أبيض الشعر ضئيل الجسم
محدودب الظهر جذب حسنها عينيها ، فراح يتفرس في جمالها
ويتلفت نحوها كلما خطا في الطريق خطوات ، فابتسم خيري

مزهوا ، فجمال من احبته سبى الرجل الفاتى وجعله يتلفت وغمر
عينيه (عجاب ، كشاب فوار الحماس ..

وشرق وجهه بابتسامة عذبة ومرر يده على شعره تحية ،
فخيل اليه انها ابتسمت له ومدت يدها تصلح شعرها المتهلج :
فانشرح صدره وصدق ما حزره قلبه ، انها هى بعينها فتحية ..
فتحية التى بعثت اليه برسالتها الحارة ترد على تحيته بتحية
مثلها .

وسار فى طريقه وهو نشوان . سره انه اهتدى الى فتحية
وووجدها نابضة بالحياة كرسالتها ، ووسع فى خطاه فقد دب فيه
نشاط غريب ، وما أن بلغ الميدان حتى أحس رغبة فى أن يعود
ويتطلع الى فتحية ، فدار على عقبه وقفل عائداً من حيث جاء ،
فلما لاح له الشرفة ظلت عيناه متعلقتين بها وانداخ فى صدره
خدر لذيذ ..

ودنا من الشرفة مخفف من خطوه ورفع رأسه وراح ينقل فيها
عينيه ، وقد تحرك فى جوفه اضطراب شهى ، كانت شفتها
ممثلتين مغريتين ووجنتاها فى لون الورد وعينها آسرتين
ساحرتين ، فانبعث من عينيه بريق أخاذ ، وسار الهوينى وهو
يتلفت حتى اختفت الشرفة عنه ..

وعاد الى داره فاسترخى فى مقعد وثير ، وأخرج الرسالة
ونشرها وراح يعيد تلاوتها فغمرته نشوة أعظم من النشوة التى
غمرته أول مرة ، انه يرى الآن بعين خياله فتحية بشعرها الكستائى
المتوج ، ووجهها الحلو الصبيح ، توجه اليه خطابها منتشله
من دنياه المحدودة لترفعه الى موالم رحبية من السعادة والهناء ..
وضع الرسالة على ركبتيه واطلق لخياله العنان ، فرأى نفسه
وفتحية فى تلك الحديقة البديعة التى رأتها فى منامها وهما يهرولان
الى النهر الرقراق ، ثم يتجهان الى الزورق الرائع ويركبان فيه

وينطلقان ليسبحا في عالم السعادة ، وقد اسند رأسه الى رأسها . واسترسل في تخيلاته فألفى نفسه يضيها الى صدره في ونة ويمطرها بقبلاته الحارة ، فأحس وهو في مقعده بنشوة عارمة .. وتبدل خيري .. دب فيه نشاط بعد خمول واستيقظت حواسه بعد سبات ، وسبح خياله فهمام في سماوات التصورات بعد أن كان مشدودا الى الأرض ، وصار يعتنى بهندامه يقف أمام المرأة سويعات ، وما كان يرتدي جاكته الا وهو هابط في الدرج لا يلوى على شيء .

وراح يحيا على الأمل يعد الدقائق والساعات ، يرصد يوم الخميس في قلق ورجاء . وما انبلج صبح ذلك اليوم الموعود حتى فتح صوان ملبسه ، وأخذ يتفرس في حللة يقلب هذه ويخلص عن تلك ، حتى اطمأن الى حلة رمادية جذابة فتناولها ، ونادى الخادم الصغيرة : امريها أن تذهب بها الى الكواء .

واتجه الى حيث يضع أحذيته وانتهى منها حذاء وضعه في عناية بالقرب من المشجيب ، ثم ارتدى ملبسه وخرج الى الطريق وسار نشيطا ، حتى اذا بلغ الشرقة لم يجد بها أحدا ، فانقبض وتريث قابلا لعلها تقبل فيبتسم لها ، مؤكدا أنه سبنتظرها في الموعد المضروب .. ولكن مرت لحظات دون أن تند الى شرفتها فانطلق وهو يحس ضيقا ، لكن سرعان ما انفتنح ضيقه فقد خطر له أنها تتأهب لآداء الذي يهنو اليه قلبها ..

ويذهب الى عملة وهو جذلان ، راح يداعب زملاؤه طلق الوجه ولم يستطيع أن يطوى صدره على سره ، فأخذ يتقص عليهم قصة الفتاة الفتاة التي أحبته وبعثت اليه تلتبس منه أن يوافيها اليوم لتطفئ لهيب الغرام ، وأرضى ذلك الحديث فروره فجعل يحدثهم عما سيفعله بعد اللقاء .

وانقضى ميعاد العهل فى الديوان فأسرع بالعودة وهو فرحان ، وما بلغ أول الطريق الذى يقطن فيه حتى سرى فى جوفه قلق لذيذ ، ومد بصره الى شرفتها فلمحها مرقص قلبه سرورا ، واخذ السير حتى اذا أصبح تحت شرفتها رفع رأسه واغتر ثغره عن ابتسامة ، فخليل اليه انها تبادلته الابتسام ، فسار الى بيته وهو هيمان .. وجلس الى طعامه ، وما أن ازدد لقيعات حتى عافت نفسه الطعام . كان شنارد اللب مشغولا بما يجرى فى رأسه من رؤى وتخيلات ، فنهض وغادر السفارة ، وذهب الى مقعد طويل تهدد فيه وأرعى لخياله العنان ..

راح بفكر فيما سيفعله عند اللقاء ، فراى أن يذهب الى مصر الجديدة ، ثم يستقلا سيارة الى كازينو مونثرو الضارب فى صحراء الماطلة لينعما بالهدوء وهواء تلك المنطقة الجاف . واستراح الى تلك الفكرة ولكن سرعان ما قفزت الى رأسه فكرة أخرى .. انها رأت فى منامها أنهما يذرعان حديقة بديعة ثم اتطلقا الى زورق راح يتهادى بهما فى نهر صناعى رقيق ، فلماذا لا يحقق لها فى الحقيقة ما رآته فى المنام ؟

واطمأن الى ذلك خاطر الجديد ، فقرر رايه على أن يذهب الى قصر النيل بجوستان خلال حدائق الجزيرة كفراشتين طليقتين ، ثم يركبان زورقا من الزاويق المنتشرة هناك ، يخطر بهما فى النيل عند الاصيل ، فيمتعان الطرف بمشاهدة الغروب الفاتن الذى يهلا النفوس بالجلال ..

واخذ الوقت يمر وهو غارق فى بحور النشوة المستمدة من الخيال ، ودقت ساعة الحائط الرابعة فأحس رنينها فى نفسه .. ارتفعت دقات قلبه وأرهفت مشاعره وزحفت الى صدره رهبة

وقام يناهب للانطلاق للقاء ، فذهب الى المرأة وقرب وجهه وراح يتفرد في صقالها ، فالفى شعرة نابذة في خده فجذبها باللقاط ، ثم أخذ يرجل شعره اللامع ، واربدى قميصا أبيض هفها ، وتناول رباط عنق جذلها وراح يعقده في حرص ، ومد يده الى العقدة بتحسسها في رفق ليزيل ثنية خفيفة في طرفها ..

وتناول حلقة الرمادية في حرص بالغ ، ثم ارتداها ، وأخذ يصلح من هندامه ويمد يده الى المنديل المنديل المنديل من جيبه يرفعه قليلا ثم يخفضه قليلا ، ثم يعود ليرفعه .. حتى اذا استراح الى وضعه تفهقر خطوة وجعل يلحس عن صورته في المرأة .

وأخذت اللحظات تمر في ببطء ، فطلق يثرع الغرفة صاعدا هابطا وقد سيطر عليه اضطراب مشوب بلذة ونشوة ، وخطر له أن يقرأ رسالتها بمد يده وأخرجها ، وراح يقرأها خافق القلب مرهف الحواس ..

ونظر الى الساعة فالفها الرابعة والثلث ، فتلهل في ضيق ، واتجه الى الشرفة ووقف يستنشق الهواء ، ولكنه لم يطق أن يبقى فيها طويلا فدخل يقطع الحجرات جيئة وذهابا في حيرة واضطراب ، واستقر رايه أخيرا على مغادرة الدار فراح يهبط في الدرج متمهلا حتى يحافظ على رونق حلته .

وسار يتهادى ، حتى اذا بلغ شرفتها زان وجيب مؤاده ، ورفع عينيه فلم يجدها فسرت الطمانينة في صدره ، انها الآن أمام المرأة تتأهب للقاء . أه لو تدرى لاسرعت بالهبوط لينعما بأسعد الأوقات ! وبلغ الميدان فوقف عند محطة الترام بمد بصره الى الطريق الذي ستقبل منه فتحة بقامتها المشوقة ، ووجهها الحلو الصبيح الذي تزينه عينان صافيتان رائعتان ، وفم في لون العقيق يفرى باللثم والعناق ..

وينظر في ساعته فارتفع نبضه وزاد خفقان قلبه وسرى الدم حارا في عروقه ، ان هي الا عشر دقائق ثم تقبل فتحية بذاتها اللطيفة . يا طالما حادتها في الخيال أرق حديث ، وان هي الا لحظات حتى يناجيه في الواقع الملموس الذي يفوق سحره سحر الخيال أعذب مناجاة ، وراح يغدو ويروح على الطوار ، وعيناه ترقبان منفذ الطريق الذي ستقبل منه الفتنة والاعراء ..

ووقعت عيناه وهو يتلفت على فتاة مقبلة نحوه . انها تبتسم له وان ابتسامتها تتسع وتتسع ، فرمقها في دهش فما كان يحسب أن تبلغ الجراة بفتاة أن تغازل شابا مثل هذه المغازلة المفضوحة ، ودنت منه وهبست :

— لقاء سعيد يا خيرى بك ..

ومدت يدها تصافحه ، فاحس راسه يدور وقلبه يفوص في قديمه وضيقا ينتشر في صدره . انها فتاة سهراء مقلقلة الشعر واسنعة الفم جاحظة العينين ، انفها أقرب الأتوف الزوج ، وقد انتشرت في وجهها بقع سوداء زادت في دماستها .

وهبست في صوت مفزوع :

— متحية هانم ؟ !

فانفجر منها اللواسع عن أسنانها الصفراء ، فوقف مذهولا لا يدرى ما يفعل بعد أن انجلت لعينيه الحقيقة البشعة ، ثارت احساساته وامتزجت حتى كاد يتعطل تفكيره . وأقبل الترام فصعدت فتحية بسرعة وصعد خلفها دون أن يدرى .

وأخيرا أفاق من المفاجأة البغيضة والترام يجد في سيره ، وقفزت في رأسه فكرة فنهض مسرعا وقفز من الترام ، وراح يعدو برهة وهو من الخوف يتلفت !

تصدير البشر والنفوس والآداب

لابد لكل مشروع من رأس مال هائل ، فإذا زاد رأس المال على حاجات المشروع العملية كان الجزء الفائض عاطلا وأصبح عبئا على المشروع كله ولتصريب مثل هذا الوضع يحول رأس المال العاطل الى مشروع آخر في حاجة الى أموال ليصل الى كفايته التصوي .

واقتصاديات الأمم لا تختلف في كثير ولا قليل عن المشروعات التجارية فلا بد لكل أمة من رأس مال بشري ، ينسكب ويخطط وينفذ ، فإذا زاد رأس المال البشري في أمة من الأمم على حاجاتها الفعلية كان فائض رأس المال البشري عاطلا ، وأصبح عبئا على الأمة كلها ، والعلاج مثل هذه الحالة يصدر فائض البشر الى أهم تشكو نقصا في الأيدي العاملة .

ولا يقصد بتصدير البشر الهجرة النهائية الى دولة أجنبية بل يقصد به فتح أبواب العمل في مجالات خارجية للفائض البشري في دولة من الدول .

والإنسان رأس مال تتغير قيمته بتغير ثقافته وخبرته ، ومقدار حاجة المجتمع الذي يعيش فيه الى جهوده . وتلجأ بعض الدول التي يزيد فيها رأس المال البشري على حاجتها الى تصديره لتجني فوائد ما يعيده رأس المال البشري من فائض جهده الى بلاده .

وتستفيد دول كثيرة من تصدير فائض أبنائها ، بل قد يكون عائد رأس المال البشرى المصدر عصب اقتصاد تلك الدول ، فاليونان ولبنان وسوريا وإيطاليا تصدر البشر الى البلاد التي تعاني نقصا في الأيدي العاملة وتجني في ذلك فائدتين ، عائد الجهود البشرية المصدرة ، وتوفيرا في مآكل أولئك الذين راحوا يعملون في الخارج ومشربهم وملبسهم ومسكنهم وخدماتهم الصحية والاجتماعية .

ولو فرضنا أن دولة ما نجحت في أن تصدر ألف خبير ، واستطاع كل منهم أن يعيده الى بلده مائة جنيه كل شهر ؛ فمعنى هذا أن حصيلة هؤلاء الخبراء من العملات الأجنبية في السنة $1000 \times 100 \times 12 = 1,200,000$ جنيه ، فإذا فرضنا أن عائد أي مشروع اقتصادي ٦٪ فعائد هؤلاء الخبراء يساوي عائد مشروعات اقتصادية قيمتها ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ من الجنيهات .

أن إيطاليا وحدها تصدر الى ألمانيا الغربية مليون عامل ، وتصدر اليها يوغسلافيا نصف مليون . وما أكثر البلاد التي تحتاج الى خبراء وصناع وعمال في العالم ، أفريقية وألمانيا الغربية وأمريكا الجنوبية وبعض البلاد العربية في آسيا وأفريقيا تشكو نقص الأيدي العاملة بها ، مما حد ليبيا الى عقد اتفاقيات مع تشاد والمغرب والسودان لتوريد خبراء وعمال زراعيين ، بينما تشكو مصر من تضخم الطاقات البشرية المعطلة .

إننا نقاسي من تضخم رأس المال البشرى وزيادته زيادة هائلة على حاجة البلاد الفعلية ولمكانياتها . ولو أننا قد نجحنا حتى الآن في إيجاد عمل للقادرين على العمل إلا أن ذلك كان في بعض الأحيان على حساب الكفاءة الاقتصادية للمشروعات مما أدى الى

خلق بطالة مقنعة ؛ وهذا النجاح لا يمكن أن يستمر طويلا
نستضطر الى أن نقف مشدوهين أمام السيل الجارف من أبنائنا
المتطلعين الى العمل .

لقد نفاقت مشكلة زيادة السكان عندنا فننادى الاقتصاديون
والمصلحون الاجتماعيون بضرورة تنظيم النسل . واني أرى أن
هذه الدعوة لا تحل مشكلة قد وقعت فعلا . بل تحاول أن تجد حلا
للمشكلة في المستقبل وأن تحد من خطورتها . اننا نفاسي الآن فعلا
من الاتجار السكاني ، وليس لهذه المشكلة من حل الا أن نتاجر
الأرض بأبواب الزيت أو نجد سوقا خارجية لفائض رأس مالنا
البشري أو أن يمن الله علينا بالحسنين معا .

إن البطالة السافرة والبطالة المقنعة وازدحام الوحدات
الاقتصادية والفنية وأجهزة الدولة بأفراد لا يستغلون كل طاقاتهم
في العمل رأس مال معطل ، بل رأس مال يستهلك أكثر مما ينتج
مما يسود على اقتصادنا القوي بالضرر ويجعل أمر التخطيط
السلبي مستحيلا ؛ لذلك آن لنا أن نفرط في تصدير فائض رأس
المال البشري ، لنحقق التوازن بين الانتاج والاستهلاك ولنحنى
قوائد ما يعيده رأس المال البشري المعطل عندنا من فائض جهده
في الخارج .

وعلى مصر واجبات يحتمها عليها تاريخها الطويل ، فهي
أقدم بلاد العالم معرفة بالزراعة وإقامة الخزانات والسدود فواجبها
حيال أفريقية أن تنهض بمعبد زراعة القارة التي عاشت حتى
العصر الحديث على الفطرة وأن تمدها بالمهندسين الزراعيين
ومهندسي الري والعمال الزراعيين والسيطريين والأطباء ونحوهم .
في السودان ، وفي الصومال ، وفي الحبشة ، ملايين
الأمم المتحدة الصالحة للزراعة والتي تحتاج الى الأيدي العاملة بينما

عبدنا طاقات زراعية معطلة ، فلو أمكن تصدير تلك الطاقات الى البلاد التي في شدة الحاجة اليها ، لحققنا الرخاء لتلك البلاد وجنبنا فوائد رؤوس أموالنا البشرية المستثمرة واسترحنا من طاقات مستهلكة .

★ ★ ★

سافرنا في بعثة اقتصادية في عام ١٩٦١ الى الصومال وقد تم الاتفاق بيننا وبين الحكومة الصومالية على ان نقيم هناك مجزرا وان ننشئ صناعة السكر وعلى ان نستصلح الأراضي ونزرعها . وفي الصومال اكثر من عشرين مليوناً من الأفدنة البكر الصالحة للزراعة وكانها لا يزيدون على مليون ونصف مليون نسمة ، ولقد أشفقنا على أنفسنا من خوض غمار هذه المغامرة وان أبدت ألمانيا الغربية فيما بعد استعدادها ان تقيم المجزر وان تتقاضى ثمنه من امعاء الحيوانات لصناعة السجق الذي تشتريه ألمانيا ومن حوافر الذبائح .

ولقد قامت روسيا بإنشاء مجزر هناك ، وتقوم الآن الصين الشعبية باستصلاح الأراضي وزراعتها آليا . واعتقد ان هذا لن يبطئ همتنا بل على العكس سيدفعنا الى اقتحام هذا الميدان الجديد خاصة وان الظروف جميعها في مصلحتنا ، فالعلاقات الاقتصادية بين الصومال ومصر كانت قائمة منذ اقدم العصور ، منذ عهد حتشبسوت . ولغتنا ولغة الصومال واحدة وديننا ودينها واحد مما ييسر الزواج بيننا وبينهم والاندماج فيهم .

★ ★ ★

ان افريقيا والدول النامية في آسيا في حاجة الى ايد خبيرة لزراعة المساحات الشاسعة التي لم تزرع بعد ونحن والله الحمد من

أول، الدول التي عرفت الزراعة في العالم ، فواجبنا أن ننهض بهذه المسؤولية وأن هذه الدول في حاجة إلى أطباء ومهندسين ومحاسبين وزراعيين وفنيين وفي رأيي أن الجامعة الأزهرية في وضعها الجديد أقدر على النهوض بهذا العبء وتزويد تلك البلاد الناجية بحاجتها من الخبراء والفنيين ؛ لما للأزهر الشريف من سمعة طيبة في هذه البلاد . وعلى ذلك ينبغي أن تخطط الجامعة الأزهرية سياستها على تخريج أطباء ومهندسين وتجاربيين وزراعيين للعمل في الخارج نادية للرسالة العظيمة التي ينبغي أن ننهض بها .

وينبغي على الدولة مساعدة الراغبين في العمل في الخارج ، ووضع جميع التسهيلات لهم . وقد قامت الدولة في الآونة الأخيرة بتيسير خروج الراغبين في العمل الذين قد حصلوا على عقود للعمل ، وهذا عمل مشكور ولكنه ليس كل العمل المطلوب من الدولة ، فمن المستير على العمال الزراعيين أن يبحثوا لأنفسهم عن العمل في الخارج بل أنه من المستير حتى على المثقفين أن ينهضوا بذلك ، لذلك أقترح :

١ — إنشاء جهاز في الدولة يقوم بالاتصال بالدول التي تحتاج إلى أيدي عاملة وأن ينظم معها إيفاد القوى البشرية المصرية .

٢ — إنشاء شركات زراعية تختص بالعمل في الخارج ، يكون لها حق المساهمة مع شركات وطنية في إصلاح الأراضي وزراعتها .

تصدير الفنون والآداب :

كانت مصر من أهم البلاد المصدرة للمصحف الكريم والكتب الدينية والكتب المدرسية ، ولكن في السنوات الأخيرة ، نظرا لارتفاع أسعار الورق والطباعة قامت دول لمنافسة جمهورية مصر

العربية في هيدان طبع المصحف الشريف والكتب الدينية . من هذه الدول اليابان وتطبع وحدها حوالى ١٥ مليون مصحف في السنة ومنها هونج كونج ومنها اسرائيل للأسف الشديد .

وكانت مصر هي الدولة العربية الأولى في طبع الكتب المدرسية ولكن تاهت مطابع في لبنان وفي شمال افريقية لطبع تلك الكتب دون استئذان أصحابها وقد ساعد على ذلك نقص الورق وارتفاع أثمانه ولإعادة طبع المصاحف بالجمهورية العربية ، ولضمان عدم وجود أخطاء أو تحريف بها يقترح أن تشجع إقامه مطبعة ضخمة في المنطقة الجبركية الحرة لتقوم بطبع المصاحف بعد مراجعتها في الجهات المختصة وتقوم بطبع الكتب الدينية والكتب المدرسية التي تحتاج اليها كل البلاد الناطقة باللغة العربية .

وتجد الأشرطة السينمائية رواجاً في البلاد العربية والبلاد الآسيوية والافريقية ومن الممكن أن نجد لها سوقاً في كندا وأمريكا الجنوبية وكل البلاد التي بها جاليات عربية .

إننا أقدر الشعوب العربية على مخاطبة العاطفة الدينية في البلاد الإسلامية ، فلو اهتمت السينما المصرية بإخراج أفلام دينية مستجد رواجاً في أندونيسيا والباكستان والهند وفي كل بقاع الأرض التي ينتشر بها المسلمون . وأذكر أثناء زيارتي لأندونيسيا أن وجدت فيلم « بلال مؤذن الرسول » يعرض هناك وقد علمت أن عرضه استمر ستة أشهر كاملة .

وقد وجدت أسطوانات المطربين والمطربات المصريين منتشرة انتشاراً يثلج الصدر في كل بلاد آسيا ، ولكن هذه الأسطوانات لا تصدر من مصر للأسف الشديد ، بل تطبع في سنغافورة ولا نستفيد من عائد أسطوانات مطربتنا ومطربينا .

وان الحديث عن المطربين والمطربات يجرى الى الحديث عن دورهم فى جلب عملات اجنبية لبلادنا ، ففريق انخافس قد طاف فى أمريكا رعاو بملايين الدولارات . واطن ان مكانة مطربيننا ومطرباتنا فى العالم العربى مكانة مرموقة . لماذا لا يقوم هؤلاء المطربون والمطربات باحياء حفلات تحت اشراف الدولة لجلب العملات التى نبني عليها صرح كياننا ؟ .

انى اعتقد ان من الخير ان تقام الحفلات الاولى لاغنيات مطرباننا ومطرباتنا فى عاصمة من العواصم العربية المتعطشة لفننا الغنائى من ان تقام هنا فى القاهرة ، فمثل هذا العمل سيزيد رصيدنا من العملات الحرة فى البنوك وسيمكننا من تنفيذ خططنا الفنية .

والكتاب الادبى قادر على ان يكون موردا من موارد العملات الصعبة لو يسرنا له سبل انتشاره وهذا يمكن ان يتأتى باقامة مهرجانات ادبية فى الدول العربية يحضرها كبار كتابنا وان تباع كتبهم فى هذه المهرجانات وان تحدد اسعار مرتفعة للكتب التى يوقع عليها كبار كتابنا .

تصدير الرياضة :

انتقال التعصب للأندية الرياضية من جمهورية مصر العربية الى كل ابلاد العربية تقريبا ، واعتقد انه لو اقيمت مباراة الكاس النهائية فى عاصمة من العواصم العربية ، فى الكويت مثلا ، فالإيراد الذى سنحصل عليه سيقوق ما سنحصل عليه من إيراد اذا ما اقيمت هذه المباراة بيننا علما بأن ذلك الإيراد سيكون بعنة صعبة .

ومن الممكن ان تقام مباريات بين الزمالك والاهلى فى عواصم

أخرى ونرى هذا دعاية طيبة لنا واشباع رغبات اخواننا العرب المتعطشين لمثل هذه المباريات وعائد من العملات الأجنبية .

مراكب الفن :

ومن الممكن أن نخصص مركب لعرض منتجاتنا وآثارنا وفنوننا الشعبية وتطوفاً بموانئ الدول الأوروبية ، تنقل اليهم قطعة من وطننا ؛ ومثل هذه المراكب تجد عادة اقبالا من الأجانب ، اذا ما سمعتها دعاية كافية وهي قادرة على أن تغطي مصاريف رحلتها واعادة فائض من العملات الأجنبية .

ومن الممكن أن تحمل هذه المراكب مندوبين وتجاريين يقومون بإبرام العقود أثناء عرض منتجاتنا الوطنية .

المكاتب الخارجية :

من الملاحظ تفكك الصلة بين المكاتب التي تنشأ في الخارج لخدمة نشاط تجارى أو سياحى أو ثقافى ؛ ففى مدينة روما مثلا نجد مكتبا لشركة الطيران وآخر للسياحة وثالث للتجارة . لماذا لا ينشأ مكتب واحد قادر لخدمة أوجه نشاطنا المختلفة ، مكتب يليق بنا يقوم بخدمة شركات الطيران والسياحة والنجارة والثقافة ؟ . اننا لم نفعلنا ذلك لخفضنا من تكاليف المكاتب المختلفة ولاتقينا مكتبا يعنى نهضتنا الحديثة بكل معنى الكلمة والامكانا أن نزوده بمسؤول قادر على النهوض بهذه الأعباء التى تعود علينا بالخير فى النهاية .

قوافل الصداقة :

الفنون والآداب هي الصلة التي تربطنا بالبلاد العربية ؛ دون ان تشوبها سائبة ، لذلك اقترح ان نعد قوافل الصداقة من المطربين والمطربات والادباء والفنانين والفرق الشعبية وان تطوف تلك القوافل بالدول العربية تعرض آخر ما انتجناه من افلام ومسرحيات وكتب ادبية وتحية حفلات غنائية .

استيراد البشر :

انى اشجع كل الوان التصدير ، لأن التصدير معناه جلب عملات واسمو الى التضيق فى الاستيراد . الى استيراد ما تدعو اليه الضرورة القصوى لأن الاستيراد معناه خروج عملات او محاصيل كان من الممكن بيعها والحصول على عملات اجنبية عوضا عنها ، ولا فرق بين استيراد من كتلة غربية او كتلة شرقية . فالاستيراد فى كل صورته عبء على الميزانية . وعلى الرغم من ذلك فهناك استيراد واحد احبذه وادعو اليه واطلب المزيد منه ، الا وهو استيراد البشر ؛ ففى ورود السياح الى بلادنا دخول لعملات اجنبية نحن فى اشد الحاجة اليها .

ليس امامنا للمستطيع ان ننفذ خططنا الا ان نصدر ونصدر ونصدر وان نعاون كل العاملين فى ميدان التصدير ، فهم يؤدون للبلاد خدمة جليلة ، وانى ادعو ان نفتح ابواب التصدير للجميع لنحقق اهدافنا وان يكون شعارنا : التصدير لمن استطاع اليه سبيلا .

الفهرست

صفحة

| | | |
|-----|-----------|-----------------------------|
| ٣ | • • • • • | صفقة |
| ١٢ | • • • • • | معتول |
| ٢٠ | • • • • • | ارملة من فلسطين |
| ٤٥ | • • • • • | كشكك الموسيقى |
| ٦٤ | • • • • • | الجوع |
| ٧٨ | • • • • • | الغيب |
| ٨٤ | • • • • • | فاجرة |
| ١٥٥ | • • • • • | واحة الخيال |
| ١٦٨ | • • • • • | تصدير البشر والفنون والآداب |

رقم الايداع ٢٥٩٤

الترقيم الدولي . - ٤٨١ - ٣١٦ - ١٧٧

مكتبة مصير
٣ شارع كامل صدقي - النجيلة



الشمس ٢٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سميد جودة السحار وشركاه